وغدًا سترون عاقبة العقوق!!

بالأمس كان لي أبناء صغار، كنت أتمنى أن يكبروا، وحين كبروا تمنيت أن يتزوجوا ويرزقوا الذرية الصالحة، وحين حدث هذا وأشغلتهم أنفسهم وأموالهم وأولادهم عني تمنيت أن يعودوا صغارًا ليملئوا البيت مرحًا وحبورًا.

أوحشتني الوحدة.. أقلقني الصمت، رجع الصدى يذيب فؤادي.. تردد صوتي يعذبني.. وحدة.. وحدة.. ليس فيها أليف ولا أنيس سوى هذه الخادمة الآسيوية التي تزيد من قلقي حين أتخيلها تهم بقتلي والاستيلاء على مالي ومصاغي.. إنها لو فعلت فلن يعلم بها أحد، لأنه لن يفقدني أحد بهذه السرعة؛ ولكنها على كل حال خير من حالي بدونها.

إنها تغسل ملابسي، ترتب بيتي، تطبخ طعامي، تكرم ضيوفي، ضيوفي الذين هم أبنائي وبناتي حين يريدون الاجتماع فليس لهم ملجأ إلا بيتي، يجتمعون ليس من أجلي ولكن حتى يرى بعضهم بعضًا، يجلسون، يثرثرون، يتكلمون في مواضيع كثيرة لا أفهمها أو لا تهمني، الخادمة تجهز لهم الطعام، تضع بين أيديهم أباريق الشاي والقهوة، كم أتمنى أن تقوم واحدة منهن بعمل شيء مثلًا تسألني ماذا أحب أن يكون العشاء؟ تطل من المطبخ تنظر ماذا فعلت الخادمة؟

حين يريدون المجيء إليَّ يتصلون يسألون (كل واحدة منهن تسأل: من سيأتي؟ فإن كان هناك أحد سيأتي وإلا أجلت زيارتها لمرة أخرى) هم حقًا يجتمعون يوسعون صدورهم لا صدري.

الأم عندهم فقط للحاجة.إذا أرادت واحدة منهن (البنات وزوجات الأبناء أن تذهب إلى وليمة عرس أو حفلة عشاء أو حتى رغبت في السفر ولم ترغب في أخذ

الخادمة تركتها عندي ومعها الأبناء الصغار، يسهرون، يسمرون وأنا أجلس قلقة أنتظر قدومهم إذ كيف لي أن أنام وأترك بيتي في يدي هؤلاء الخادمات وأحيانًا دون سابق إنذار يتركونهم لينامو عندي!!! فلكم أن تتصوروا حالي مع السهر والهواجس.

بناتي هداهن الله لا يفكرن بحالي، لا يجلسن معي ويتحدثن إلي حتى لو كنَّ معي لفترة طويلة، (مفيدة) آخر بناتي زواجًا مازالت تدرس في الكلية، وعند الاختبار تحضر عندي فترة الامتحانات لأرعى لها ولدها وأهتم به لأنه ليس لديها خادمة. تأتي من الكلية قبل صلاة الظهر، تتناول فطورها وتأخذ حمامًا باردًا ثم تصلي وتنام حتى العصر، تستيقظ لتسأل الخادمة عن الغداء ثم تتجه إلى غرفتها.

تذاكر وتذاكر وحين تحتاج إلى شيء تطلبه من الخادمة وفي وقت راحتها تعانق الهاتف تحادث صديقتها أو زوجها، لا تعلم عن حال ولدها شيئًا ولا عن حال أمها وفي آخر يوم لامتحاناتها تأتي قبل الظهر كالعادة تجهز حقيبتها تتناول فطورها تصلي ولكنها لا تنام لأن زوجها يكون بانتظارها فتذهب وتتركني وحيدة لأن مهمتي انتهت.

أجلس دائمًا لوحدي سبعة أيام أو ربما أربعة عشر يومًا لا صوت ولا نظرة، أتمنى كل يوم أن تأتي واحدة تتفقدني حتى لو بعد العصر أو بعد المغرب ساعة أو تزيد تؤنسني وتزيل وحشتي، حين أقول لهم ذلك يتعللن بالأشغال الكثيرة ومشاوير رجالهن الأكثر والدراسة والعيال وخلافه، لكنهن في الواقع لا يتركن الذهاب إلى السوق من أجل الأعذار ومشغل الخياطة لا يملللن من التردد عليه للخياطة والمقاس والتصليح حتى لو كان في الأسبوع أكثر من مرة!!!.

حين يتغيب زوج أحدهن وتضطر للنوم عندي أطلب منها بإلحاح أن تشاركني النوم في (السطح) أحب جوه ونور القمر والسماء المرصعة بالنجوم، لكنني لا أنام فيه وحدي، فترفض خوفًا من البعوض أو الحر أو (يتنكد منام عيالها) هل هي حقًا صادقة؟!! أنني

أسمعهن أحيانًا يتحدثن عن نومهن في سطوح بيوتهن وفرحهن بهذا لأن أزواجهن اقترحوا عليهن أو أمام إصرار بعض أبنائهن، فهل هنت عليهن لهذه الدرجة؟!!.

أنا أمهن يشكين لي همومهن ومشاكلهن مع أزواجهن، يرن جرس الهاتف في بيتي حين تحدث في بيوتهن مشاكل يعجزن عن حلها أو حين يردن التنفيس عن مواقف مؤسفة حدثت لهن أو حين تكون هناك مشاكسات بينهن وبين حمواتهن!!! ولأنني عضوة دائمة في نوادي السكر والضغط والروماتيزم فيضيق صدري لحالهن وأتحسر عليهن فيؤثر هذا على نسبة السكر والضغط عندي فأمكث أيامًا طريحة الفراش عاجزة حتى عن القيام لأداء فروضي.

وعندما يأخذهن أزواجهن في نزهات أو يقدمون لهن الهدايا أو يبرونهن بأي شيء أو تنقشع السحب الرمادية من سماء حياتهن، وتصفو لهن الأيام فلا يقولون لي شيئًا، الأم فقط للمشاكل ووجع الرأس.

رحمك الله (يا أم جابر) تلك العجوز الثمانينية كانت دائمًا تردد هذه العبارة عاشت خريف عمرها في وحدة وعزلة مع أنها أنجبت الكثير من الأبناء والبنات. لكنها لم تكن تراهم إلا حين يكفهر وجه الدنيا في وجوههم وحين يريدون المال.

البر يا أبنائي سلف ودين، وأنتم لكم بنات وأبناء وغدًا سترون عاقبة العقوق(*).

«أمكم»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

الحب لا يشترى بالمال

تسألني كيف أعيش سعيدة، وقد تغير اتجاه حياتي مئة وثمانين درجة، أقول لك إن المال لم يكن بالنسبة لي هو كل شيء، كان المال يخدمني فقط ولكنه لم يكن يجلب لي السعادة. لقد أدركت ذلك فيما بعد.

أنا (سهام) ابنة رجل ثري، نشأت في وسط ثري، أعمال حرة وتجارية، مستشفيات خاصة للعلاج، ومدارس أهلية للدراسة، فنادق وصالات فخمة للاحتفالات، مراكز رياضية (للتخسيس) والحفاظ على اللياقة، أسواق راقية تلك التي نرتادها، وبلاد أوروبية نسيح فيها، هذه ضروريات حياتنا يطغى عليها البذخ والإسراف وحب المباهاة. اجتماعنا عرض أزياء، وتقرير عن عالم الموضة، ودعاية لنوع جديد من الترفيه، مطعم عائلي، متنزه، سوق جديد وهكذا.

لم أكن أرى والدي كثيرًا، في الصباح في عمله، وبعد الظهر ينام، وبعد العصر يذهب إلى مركز رياضي، وحين يعود يكون جدوله مزدحمًا بالمواعيد والسهرات (وعشاء عمل) إذا رأيته ألقيت عليه التحية وسألته عن حاله وكفى. فلا وقت لديه لأكثر من ذلك.

(وأمي) كذلك ترافق صديقتها إلى السوق أو أحد مراكز التجميل أو إحدى الجمعيات النسائية تحضر الاحتفالات والافتتاحات الخاصة بالنساء، فحياتها مليئة بالأنشطة المختلفة. وبين هذين الوصفين نشأت مفتقدة لحنان الأم ورحمة الأب، علاقتي بهما شبه رسمية وفرا لي المال معتقدين أنه يجلب لي الراحة والسعادة، وأنا أيضًا كنت أعتقد ذلك إلى أن تزوجت وتغيرت مفاهيم الأشياء حولي.

تزوجت (عدنان) شاب مستقيم من أسرة متواضعة، أخته صديقتي، أثنت عليه كثيرًا، كانت تحدثني عن خلقه وطيبته، عن حنانه المتدفق منذ أن كنا على مقاعد الجامعة، وهي تمهد لهذه اللحظة، كنت أشعر بذلك وأتظاهر بالغباء.

والدي لم يعارض رغبتي وهذا ما تعودته منه، وزفني إلى زوجي في عرس بهيج ظهر فيه الفرق بين أهلي وأهل زوجي. دخلت بيته، شقة متواضعة، أثاث بسيط لكنه ينمُّ عن ذوق جيد، لم يكن فيه ستائر مخملية ولا سجاد إيراني، كان فيه ما افتقدته طول حياتي، الحب والحنان. مع (عدنان) شعرت بأني أحيا من جديد، صار للحياة طعم مميز، صرت أفترش الحب وألتحف الود والوئام وأتنفس الحنان والعطف.

هو حقًا في عرف أهلي (على قد حاله) لكن قلبه غني بالأحاسيس مفعم بالعواطف، تعلمت منه معنى البذل والتضحية من أجل الآخرين، وعشت معه على التعاون فيما بيننا. لم تكن ثروة أهلي تعني له شيئًا. حين أطلب منه حاجة لي أو غرضًا للبيت يقول (انتظري حتى آخر الشهر) كلمة أسمعها لأول مرة، إذ لم يكن أول الشهر ولا آخره مانعًا لي من تحقيق رغبة أو شهوة في نفسي، هذا كان في السابق، أما الآن فالواقع جد متغير.

(وعدنان) نفسه غنية وكرامته فوق كل اعتبار، فهو يرفض أن أطلب المساعدة من أهلي أو آخذ منهم شيئًا، أو حتى أبدي لهم مدى حاجتنا.

ثماني سنوات عمر زواجنا الآن عشتها في سعادة وراحة حتى وإن ظهرت بعض المشكلات على السطح إلا أنها كالفقاقيع سرعان ما تتلاشى، حين ألتقي بقريباتي أتلقى منهن سيلًا من الأسئلة الجافة الحارقة، كيف تعيشين وأين تعالجين؟ ومن أين اشتريت هذا الفستان؟ وبكم؟ و... غيرها. يسخرن مني لأنني تركت العلاج في المستشفيات الخاصة وصرت لا ألجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى، فمستشفيات الحكومة فيها الخير والبركة، وحين يسبب الله الشفاء لا ندري أين يضعه سبحانه، ثم إنني في حاجة إلى هذا المال الذي (تمصه) المستشفيات الخاصة.

وهن عندما يسألنني، عما ألبس من أين اشتريته وبكم؟ فلأنهن يعتقدن أن الذوق الرفيع والأناقة الراقية فقط في تلك الأماكن المحدودة ذات الواجهات الزجاجية والسلالم الكهربائية والتكييف المركزي، يقفن مبهورات أمام أناقتي وحفاظي على ما اعتدنه مني من اهتمام بمظهري وذوقي، ويغتظن حين يعلمن كم دفعت ثمنًا لذلك، إنه مبلغ بسيط، إنني أحب زوجي كثيرًا ولا يمكن أن أرهقه وأسبب له حرجًا من أجل فستان أو حذاء.

لقد قامت قيامتهن يوم أن علمن بدخول ابني (عبد الرحمن) المدرسة الحكومية القريبة من بيتي، لماذا لم أسجله في مدرسة خاصة أسوة بأبنائهن، هذا شيء لا يصدق، سيتعلم العفرتة والكلمات النابية أبناء المدارس الخاصة أكثر انضباطًا وأدبًا وأرقى خُلقًا هكذا هن يفكرن، وهكذا يتخيلن خطأ أما أنا فلقد بذلت مع زوجي عظيم الجهد لنعلم أبناءنا كريم الخلق ورفيع السجايا، نحن نفعل ما يرضي الله مع أبنائنا والله سبحانه يتولى الصالحين.

وكم من يتيم فاق أقرانه ذكاء وأدبًا وخلقًا فمن علمه وأدبه؟!.

إنكن مهما تحدثتن وهمزتن وأبديتن الامتعاض فلن يغير ذلك من قناعتي شيئًا، كلامكن هذا نابع من الغيرة فمع هذه الأموال الكثيرة والعطور الفاخرة لا تشعرن بالسعادة، أزواجكن في كل بلد يهيمون، تتمنى الواحدة منكن لو ركبت مع زوجها سيارته ولو مرة واحدة في الشهر، أما أنا فزوجي قريب مني، يحبني ويراعي خاطري (يدللني) نخرج سويًا للنزهة، وللتبضع، يجلس في البيت يراجع لعبد الرحمن دروسه، يلعب مع صغاره، يساعدني في عمل البيت. إنه رفض كل المساعدات التي قدمها أهلي لنا، إن حياة نبنيها لبنة لبنة خير من أن نسأل الناس حتى لو كانوا أهلًا لنا فطعم الكفاح لذيذ(*).

«أختكم»

(*) مجلة «الدعوة».

ضيعتنا يا زوجي

كان زوجي يعمل رئيسًا في شركة مرموقة.. كان يحبني ويدللني ويفيض العطف عليّ وعلى أولادي.. كنت أشعر بأنني أسعد زوجة في الدنيا.. وتمضي الأيام وسرعان ما يتحول هذا النعيم إلى جحيم.. بدأت الأحداث المرة بتغير مفاجئ في حالة زوجي النفسية.. مزاج متقلب.. عصبية لأتفه الأسباب وأحيانًا كان يضربني حتى يتورم وجهي! كان يأتي للبيت ورائحته كريهة.. وفي يوم من الأيام أخذت ثيابه لغسلها فوقعت يدي على قطعة من الحشيش المخدر.. اكتشفت المصيبة وهي أن زوجي مدمنًا للمخدرات.. لم تنجح محاولاتي المتكررة في نصحه.. فلجأت لوالديّ.. استجابا لطلبي وحضرا المنزل وليتهم لم يحضرا.. فما إن تحدثا في الموضوع إلا وشتمهما وطردهما من المنزل.. وازدادت حالة زوجي سوءًا.. حتى صار يشك في سلوكي.. كنت أتصبر أمام هذه الاتهامات المرة حفاظًا على أسرتي وأولادي.. ربما لا تصدقوني بأنه كان يشك في سلوك ابنتي البالغة من العمر سبع سنوات! في أحد الأيام طرق الباب فقامت ابنتي المسكينة بفتح الباب لكنه كان في سكره.. تخيل حينها أن هذه الطفلة تجلس مع رجال! كيف لا أدري... انهال عليها بالضرب.. فهربت منه.. فانطلق وراءها حتى اختبأت في غرفتي.. رماها بزجاجات العطور فكسر يدها.. صرخت بأعلى صوتي من هول الموقف.

اتصلت بأخي.. نقلنا ابنتي للمستشفى وقد دخل الزجاج في عينيها البريئتين.. وفي يوم آخر دخل كالمسعور وأخذ ابني الصغير وألقى به في الشارع فتورم رأسه.. ولكن من لطف الله كانت أم زوجي في البيت معنا فأخذته للمستشفى ليتمَّ إسعافه.. كان ما إن يتناول هذه السموم حتى يتحول إلى مخلوق آخر.. قلب بلا رحمة.. جسم بلا عقل.. حيوان في مسلاخ بشر..دخل علينا يومًا وكان فاقدًا لعقله فألقى بالشاي الحار

على رأس ابنتي الصغيرة فأصيبت بحروق وتشوهات.. لا تزال على يومي هذا تنطق على وجهها ببشاعة الموقف.. أما أعظم المصائب فكانت بابني الأكبر.. كان عمره في ذلك الوقت ١٢ عاما.. كان هذا الولد هو الأمل الذي بقي لي في حياتي.. فقد يأست من زوجي.. فقد قتل آمالي وحطم المعاني الجميلة في نفسي.. في إحدى الليالي جلس زوجي مع رفاقه في إحدى مجالس الشيطان.. كنت أخشى مما يحدث في نهاية هذا المجلس أخذت أبنائي للغرفة وأقفلت الباب.

مضت الساعات ونام الأولاد.. وبقيت لوحدي وكيف لي أن أنام في هذا الليل المرعب.. وفي ظلمة الليل وعند الساعة الثالثة ارتج باب الغرفة.. وإذ بزوجي يصرخ: افتحي الباب صرخت: لن أفتح.. استيقظ الأولاد.. فسرعان ما تحطم الباب فدخل زوجي الغرفة فانهال علي وعلى أولادي بالضرب حتى تمزقت ملابسي.. أخذ العصا.. وسرعان ما انكسرت على رأس ولدي التفت يمينًا ويسارًا فلم يجد سوى طاولة رفعها للأعلى ثم هوى بها على رأس الولد فإذا بالدماء تتفجر من رأسه صرخت مستنجدة بالجيران ولكن لا مجيب ولا معين..أسرعت للثلاجة لأخرج قطع الثلج وأضعها على رأس ولدي ولكن لازالت الدماء تصبُّ من جرحه.. خرجت من المنزل أجري من هول المصيبة.. بلا شعور.. بلا نعال.. بل والله بلا حجاب! طرقت باب أحد الجيران فأخبرته بما جرى.. فذهب للمنزل يجري وأنا أجري وراءه فإذا بابني يسبح في دمائه.. حملناه للمستشفى ووضع في العناية المركزة لمدة ٣ أسابيع.. وتأتي الفاجعة الموجعة... ولدي قد اختل عقله بسبب الضربة.. وبعد شهرين خرج ابني من المستشفى عالة علي في المنزل.. لا يملك نفعًا فكيف يكون عونًا لي على مصائب الحياة!.

صدقوني تمنيت أن يموت.. كانت هذه أمنيتي تجاه زوجي.. دعوت الله أن يُقبض عليه ويُسجن.. وبعد أسبوع قبض عليه رجال الأمن ليقضى عليه لمدة عامين..

وفي البيت بدأت معاناة أخرى مع أسئلة أولادي المتكررة: أين أبونا.. لماذا قبضوا عليه؟ لماذا في السجن؟ كنت أزوره مرات ومرات ومضت الأيام في السجن.. ابتعد زوجي عن رفقة السوء.. فاستقام سلوكه.. خرج محافظًا على الصلاة متمسكًا في الخلق والفضيلة.. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.. تجمع حوله رفاقه الأولون واستدرجوه للإدمان من جديد.. تردت أحوالنا المادية بسبب إدمان زوجي على المخدرات.. باع أثاث المنزل بل وحتى أدوات المطبخ! ولم تكن هذه الأموال لتشبع شراهته في تعاطي المخدرات.

فكان لابد من ثمن أغلى ما هو؟ إنه ابنتي الصغيرة وكان عمرها ١١عامًا قام بتزويجها لرجل مريض ومصاب بتخلف عقلي.. كل ذلك ليستولي على المهر البالغ ٥٠ ألف لينفقه على سمومه.. ضاقت نفسي ولم أعد أطيق أعباء المنزل.. مع كل ذلك لم يكن يعيرنا أي اهتمام إلا إذا نفذ ما بيده من النقود.. فيدخل ويأخذ ما وقعت عليه يده من قُوتنا الذي كان يصلنا من المحسنين ثم يمضي.. تفكرت في أيامي الخالية فكدت أموت حزنًا وكمدًا وحسرة.. ولكن عزائي بعد هذا العمر الطويل أنني ولله الحمد مؤمنة بالله..لم أفقد الأمل.. لم أيأس من روح الله وأدعو الله ليلًا ونهارًا أن يردَّ لي زوجي ويصلح أولادي ويعيد أيامي السعيدة التي غربت شمسها وأفلت نجومها فلعل فجرًا صادقًا يضيء حياتي من جديد(*).

❁❁❁

(*) شريط «عِبرة وعَبرة» للرائد/ سامي الحمود.

obeikandi.com

وللإعاقة وجه آخر

كان يومًا جميلًا من أيام الربيع، اتفقنا على قضائه في ربوع الصحراء الواسعة بين تلك الرمال الحمراء، نصبنا الخيام وطبخنا الغداء ولعبنا وتحدثنا واستمتعنا بكل دقيقة ولم نكن نعلم ما يخبئ لنا القدر. انتهت الرحلة وعدنا إلى الرياض ركبت مع أحمد في السيارة ذات المقصورة الواحدة المحملة بالعفش، لم أكن لأدع ابني ذي الستة عشر عامًا يقود السيارة بمفرده في هذا الوقت من الليل، تأكدنا أن الجميع استقلوا سياراتهم وكنا آخر المغادرين، ركبنا الخط السريع، ولم تكن سوى دقائق حتى أظلمت الدنيا في عيني وفقدت الوعي.

صحوت واتجهت عيناي بخط مستقيم ووقعنا على السقف، بياض في بياض، هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة أغلقت عيني جيدًا ثم فتحتها على مهل وبتركيز شديد لأتبين حقيقة وضعي، التفت يمنة ويسرة، لا أحد سوى أجهزة ومعدات وأنابيب و.. إنني ممددة فوق سرير أبيض، أنا لا أستطيع الحركة.. جسد ضعيف.

مر على تلك الحادثة تسع سنوات تزيد قليلًا خرجت من المستشفى بشلل نصفي وضعف في الأطراف العليا. صرت رهينة الكرسي والعجلات. الحمد لله أنني أنا المصابة وليس ابني أحمد فهو الآن سليم ويمارس حياته بشكل طبيعي بعد أن شفي من تلك الكسور والرضوض.

تسع سنوات على هذه الحال جعلت الدنيا في عيني حقيرة، كانت السنوات التي عشتها قبل الحادث كحلم جميل انقطع فجأة، هل كنت حقًا أسير على قدمي؟ أذهب إلى السوق أو إلى الخياط؟ وفي رمضان أذهب للمسجد لأؤدي صلاة التراويح؟ هل كنت أمشي في بيتي وأصعد إلى سطحه لأنام في الليلة الباردة؟ نعم وكنت أصعد إلى الدور الثاني أوقظ الأولاد للمدارس، لأعمالهم ولصلاة الفجر. كم مضى علي من زمن لم

أصعد فيه إلى الطابق العلوي؟ صارت حياتي هنا في الحضيض، في أسفل البيت أقبع كقطعة أثاث مهملة، لم يعد يأبه بي أحد، لا زوج ولا أولاد، أو أحمد كباقي الرجال لم يصبر على الوضع كثيرًا ولم ينتظر لتثمر بذرة الأمل التي في نفسي فتزوج بأخرى وانشغل بحياته الجديدة، والأولاد صار اهتمامهم بي يذبل ويذبل حتى تلاشى.

ربما أنهم يتمنون موتي في كل لحظة فأنا عبء ثقيل عليهم، أحرمهم من الخروج للتنزه للاستمتاع برؤية الأحباب في المناسبات وغيرها، طبعًا أنا لن أخرج، لا يمكن بحال من الأحوال أن أجعل نفسي محط شفقة الناس ورحمتهم ونظراتهم القاتلة لكل أمل.

لقد قتل الحادث فيَّ الجرأة والشجاعة في مواجهة الناس والأحداث، ثلاثة أشهر قضيتها في المستشفى كنت أرى في عيون الزوار سكاكين تنحر الأمل على عتبات قلبي المجهد لا أسمع منهم إلا القلة سوى عبارات العزاء وفي وجوههم علامات الأسى والحسرة، معظم الناس في مجتمعي تقتل المريض قبل أن يدنو أجله.

في بداية الأمر أي بعد خروجي من المستشفى لم يكونوا ليخرجوا من البيت ويتركوني وحدي. زوجي وأبنائي كانوا يتعاقبون المكث عندي يواسونني أو يسلونني أو يتوجعون معي أما الآن فالخادمة تقوم بالدور وزيادة فكأني قطعة نفيسة من الأثاث يجب أن تراقبها الخادمة حتى لا يعبث بها عابث.

لم يتحملني الجميع باتوا يتململون من حديثي وشكواي، أرى التذمر يعلو وجوههم بينما كانوا لا يفارقونني لحظة واحدة في البداية، صاروا الآن لا يجتمعون عندي لحظة واحدة الكل منشغل بدنياه وعمله ومدرسته حتى الصغار تعلموا من الكبار الهجران. فماذا يجدون عند عجوز مقعدة؟! الأيام عندي سواسية اليوم كأمس وكالغد لا فرق بين أيام العمل وأيام الإجازة لا ليلي ليل ولا نهاري نهار أنام حين أشعر بالتعب والملل وأصحو حين أمل من النوم.. رتابة قاتلة وموت بطيء!.

لم يعد أحد يسأل عن حالي، نسيني الناس والأقارب بت شيئًا مألوفًا، فحالي لم تتغير وأبنائي لم يحاولوا أبدًا بث الأمل في نفسي، لم يشعلوا شموع الفرح في حياتي سيأتي يوم تتركين فيه هذا الكرسي، ستسيرين على الأرض بشكل طبيعي، ستلامس قدماك الأرض وتحلق روحك في فضاءات الأمل الواسعة، لا تيأسي يا أمي سوف يهجرك هذا الكرسي إن شاء الله، إنه ليس أمرًا بعيدًا على الله، كنت أتمنى أن يقول أبنائي هذا الكلام لكنهم لم يقولوه. بل إن جذوة الأمل الصغيرة التي بقيت مشتعلة في قلبي أطفئوها ببرود أحاسيسهم وجمود عواطفهم.

وبعد: هل الحياة قاسية لهذه الدرجة؟ هل الأيام كلها قاتمة ومظلمة؟ هل للإعاقة طعم مر ووجه قبيح؟ أليس هناك أمل أبدًا؟ بالتأكيد: هناك أمل في الله قوي، إن جارتي (أم خالد) وابنتها (شيماء) لا تفتآن تمداني بالأشرطة النافعة التي لا أنقطع عن سماعها خاصة أشرطة القرآن، فهي تحيي الروح الميتة وتبهج النفس التعيسة وتجعل الكون مشرقًا مزهرًا، إنني منذ بدأت في العيش معها صار لأيامي معنى آخر ولإعاقتي وجه مضيء.

إن كل ما يصيبني يحمل الخير من حيث لا أدري، إن إيماني بالله وثقتي بعاجل فرجه وعظيم أجره زادٌ لي لكسر شوكة نفسي المتمردة وإلجامها بلجام الصبر.

لقد أسرجت في حياتي قناديل الرضا منذ أن تركت الناس وعشت مع هذه الأشرطة، فلا تكلني يارب إلى أحد من خلقك إن رضي عني فرحت وإن هجرني يئست حتى وإن كانوا أبنائي.

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» حديث شريف(*).

«أمكم»

(*) مجلة «الدعوة».

أصدقاء السوء والمخدرات

تبدأ فصول هذه المأساة ببلاغ من أحد المستشفيات إلى إحدى الدوريات بوجود شاب مغمى عليه، وملقى على الأرض بجوار باب المستشفى، وفور وصول الدورية توجه ضابط الدورية ومساعديه إلى إدارة المستشفى للاستفسار عن الحادث الذي تم إبلاغهم به، فأبلغته الإدارة بأن أحد المواطنين قد أبلغهم بوجود جثة لشاب ملقى بباب المستشفى، وقامت إدارة المستشفى على الفور بنقله إلى غرفة العناية المركزة حيث كان وما زال في غيبوبة تامة، وأن سبب هذه الغيبوبة كما جاء بتقرير مختبرات المستشفى نتيجة جرعة زائدة من مخدر الهيروين المخلوط تم أخذها عن طريق وريد الذراع الأيسر.

وأن هذا الشاب لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين من العمر وتوجه ضابط الدورية مع أحد المسئولين بالمستشفى لمعاينة حالة هذا الشاب، ولكن الأطباء المسئولين عن قسم العناية المركزة منعوه من الدخول نظرًا لتدهور الحالة الصحية التي كان يمر بها، حيث كان فاقد الوعي تمامًا، أو كان بالمعنى الطبي في عداد الموتى، ولا تظهر على الأجهزة المحاطة بجسده العاري سوى نبضات ضعيفة للغاية، وعندئذ أبلغ الطبيب المختص ضابط الدورية بكل صراحة أنه لو مرت على الشاب الغائب عن الوعي ٤٨ ساعة دون أن يسترد وعيه، فإنه متوفى لا محالة، وإذا مرت ٤٨ ساعة فيمكن أن يتجاوز مرحلة الخطر، حيث أن الجرعة التي تم حقنه بها من مخلوط الهيروين كانت كبيرة للغاية، واعتذر الطبيب لضابط الدورية بأنه عليه أن يبدأ التحقيق معه بعد هذين اليومين إذا كان الله قد كتب له عمرًا جديدًا هنا قام ضابط الدورية بأخذ البيانات اللازمة عن الشاب من هويته المدنية التي احتفظت بها إدارة المستشفى فور نقله إلى غرفة العناية المركزة، وقام ضابط الدورية بإعطاء كافة البيانات عن هذا الشاب لضابط المباحث بالمخفر التابع له المستشفى.

وبدأ ضابط المباحث يجري اتصالاته لإبلاغ أهله عن حالته، وكان هذا الشاب متزوجًا ولديه أربعة من الأطفال، وما أن سمعت بحاله زوجها من ضابط المباحث حتى هرولت إلى المستشفى، حيث أبلغها الطبيب بأن حالته حرجة جدًا، وأنه إذا مر يومان ولم يسترد زوجها وعيه، فليرحمه الله وخرجت الزوجة من المستشفى وعيناها تفيض بالدموع.. ماذا تفعل!! وإذا مات زوجها، فمن سيبقى لها ولأبنائها بعد الله؟ وذهبت زوجته إلى البيت وأخذت أبناءها الأربعة، وعادت في نفس الليلة إلى المستشفى حيث يرقد زوجها في غرفة العناية المركزة، وكانت وأبناؤها الأربعة أمام غرفة العناية المركزة حيث يرقد زوجها ووالد أبنائها.

لم يغمض لها جفن، ولم يسترح لها بال، كانت تبكي بحرقة، وتدعو الله أن ينقذ زوجها ويعيد إليه عافيته، ومر يومان، وجاء الطبيب ليبشرها بأن العناية الإلهية قد أعادت الحياة لزوجها، وهنا تساقطت الدموع بغزارة من عينيها وأخذت بدون وعي تحتضن أبناءها الأربعة.. وتدعو الله للطبيب بالبركة وطول العمر.. وأخذت تجري ومعها أبناؤها لكي ترى زوجها وتطمئن عليه ... كانت لحظات سعادة ما بعدها سعادة ولقد شعر الشاب بعدها بالمجهود الذي قام به الطبيب المسئول عن حالته، وأحس بالألفة معه، وجلس معه الطبيب ليسأله: لماذا تريد أن تنتحر؟ هل تريد من الله أن يزيل عنك نعمة الزوجة المخلصة، وأبناءك الأربعة؟ من الذي سوف يتولاهم بعد الله إن أراد أن ينهي حياتك؟ هنا لم يستطع الشاب والزوج أن يتمالك نفسه، ودخل في نوبة من البكاء الشديد.

وبعد فترة أخذ يفضفض لأخيه الطبيب عن أحواله، ولماذا أقدم على إدمان الهيروين، فقد كان متعثرًا في دراسته في التعليم الابتدائي، ولم يلق أي تشجيع من أسرته على استكمال تعليمه، وخرج من المدرسة ليتلقفه رفاق السوء بالديرة، وكان يقضي وقتًا

طويلًا معهم، وبدأوا بتعليمه تدخين السجائر ولاحظ أن أحد رفاقه يدخن سيجارة شكلها غريب فسأله عنها، فأعطاها له، وقال له: إنها أفضل من أي نوع من أنواع السجائر التي تدخنها، وسأله رفاقه: لماذا هي أفضل فأبلغوه أنها الحشيشة، وأخذوا في إقناعه بفائدتها، فأقبل على تدخين الحشيشة، وتعود عليها حتى أدمنها، ثم تعلم من رفاق السوء تعاطى حبوب الهلوسة، وبعد فترة كان يسأل رفاقه عن هذه الحبوب، وكانوا يشيرون عليه بأنها قد اختفت من الصيدليات وشعر فعلًا في فترة انقطاع حبوب الهلوسة والحشيشة بأن جسمه يأكله وعظامه تنشر عليه.

ولكنه لم يحتمل هذه الآثار فجرى إلى أحد رفاق السوء ليسأله ماذا يفعل؟ فعرض عليه الهيروين، وعلمه كيف يستنشقه وشعر بالسعادة واللذة والنشوة، وتوقفت الآلام التي كان يشعر بها عند امتناعه عن تعاطي الحشيشة والحبوب المهلوسة، ولكن الاستمرار في استنشاق الهيروين في حاجة دائمة للزيادة من جرعة الهيروين وللزيادة الدائمة أيضًا من المال، وبدأ يكذب على أبيه ويطلب منه المال، واستمر على هذه الحال، وبعد أن بلغ سن الثامنة عشر التحق بالعمل، وتزوج زوجة صالحة، وحاول الامتناع عن إدمان الهيروين فترة طويلة حتى لا ينكشف أمره في عمله، وبين زوجته وأبنائه، ولكنه لم يستطع أن يستمر على ذلك طويلا، فقد زاره رفاق السوء مرة أخرى، وراحوا يعقدون الجلسات في بيته لشم الهيروين، حيث كانت زوجته وأولاده في بيت جدهم لأمهم، وتطور الأمر وبدأ في إدمان مخلوط الهيروين عن طريق الغرز بالإبر في ذراعه، وذات يوم عندما كان مع رفاقه يحقنون أنفسهم بإبر مخلوط الهيروين، فإذا به يسقط فاقد الوعي نتيجة الجرعة الزائدة وأخذه رفاقه في سياراتهم، وألقوه أمام المستشفى، وهذه كانت بداية النهاية، ولم يشعر بشيء إلا بعد أن أفاق من غيبوبته ووجد أخاه الطبيب أمام عينيه، وحوله زوجته وأبناؤه الأربعة ولقد قامت المستشفى فورًا بإبلاغ ضابط المباحث تليفونيًا بأن الشاب المطلوب التحقيق معه ومساءلته قد استرد وعيه وعافيته.

وجاء ضابط المباحث ومعه اثنان من مساعديه للتحقيق مع هذا الشاب الذي أثبتت التحاليل الطبية الخاصة بالمستشفى تعاطيه لجرعة زائدة من الهيروين.

وأثبتت التحقيقات أنه مدمن فعلًا للهيروين عن طريق الحقن، وتم إخراجه من المستشفى إلى المخفر، حيث تم التحقيق معه مرة أخرى من قبل وكيل النيابة، الذي أنهى التحقيق معه بإدانته، ووقف أمام المحكمة التي كانت رحيمة معه من أجل مستقبله ومستقبل زوجته وأبنائه فحكمت عليه بالإيداع بمستشفى الطب النفسي في القسم الخاص بمعالجة الإدمان فترة ستة أشهر، وبعدها يعود مرة أخرى إلى السجن ليقضي خمس سنوات لتنفيذ عقوبة حقن نفسه بجرعة زائدة من مادة الهيروين، وتم الإفراج عنه بعد سنة وعشرة أشهر نتيجة سلوكه الحسن داخل السجن، وتوبته عن الإقلاع عن تعاطي وإدمان المخدرات، حيث إنه وأثناء فترة السجن التحق ببرنامج التعافي من المخدرات الذي تقوم إدارة السجن بتنفيذه، وعاد والحمد لله لأسرته وأبنائه، وهو أشد قوة وإيمانًا، بل ورفض تكرار هذه المحنة القاسية التي مر بها(*).

❀❀❀

(*) مجلة «المجتمع وآفة المخدرات».

obeikandl.com

أختي أنتظر عودتك؟!

نعم فكم أفتقدك.. أفتقد قربك وحبك ونصحك.. أين أنت؟ حين نجتمع في الدورية لماذا لا تحضرين؟ لا تقولي زوجي وأولادي فكلها أعذار غير مقبولة لأننا نعرف ذلك جيدًا. لا أراك إلا في بيت والدي مرة كل شهر، دائمًا صامتة لا تتحدثين إلا قليلًا، عابسة متجهمة كأن الفرح قد اغتيل تحت قدميك.

أين أنت؟ حين يسافر زوجي أتمنى أن تذكريني فتأتي إلي فلا تفعلين وسماعة الهاتف لا تكلفين نفسك رفعها والسؤال عن حالي وعن أبنائي، لماذا لا تتحدثين لي عن حياتك، بيتك، شئونك العائلية ألست أختي وشقيقتي الوحيدة بين تسعة إخوان، لماذا أنا دائمًا المبادرة، أنا التي أسعى إلى التفاعل معك والاندماج فيك وأنت جامدة لا تتغيرين ولا تتشكلين؟!.

لم كل هذا الحزن والوجوم؟ أنت تعيشين في دار الابتلاء فأين الصبر والتحمل، ثم إن مشاكلك ومتاعبك ليست بدعًا فكل الناس مشحونون بمثلها وأمر منها ومع هذا فهم يتكيفون مع بيئاتهم ويتفاعلون معها. افتحي قلبك لي، أعطيني تجاربك وسأطلعك على تجاربي، اطلبي مني المشورة ارمي بحملك الثقيل فمن لي سواك ومن لك سواي بعد الله سبحانه؟!

نحن حقًا أختان شقيقتان لكننا مع الأسف كالماء والزيت لا يجتمعان، لا ينصهران مع بعضهما ولا يتفاعلان كيمائيًا، كل واحدة بعيدة عن الأخرى، أحاول الاقتراب منك فتبتعدين، أرجوك مدي يديك إلي فها أنا ذا أمد يدي.

تذكري تلك السنين الماضية يوم كنا صغارًا مترابطين كجزيئي المادة، لنا غرفة واحدة، ودولاب واحد ومكتب واحد نتحدث كثيرًا عن كل شيء، عن المدرسة، الزميلات، الطموحات وعن النكات أيضًا نتخاصم ونتنافر لكننا نعود بسرعة لنتحد من جديد.

كنت أحب الكيمياء وأنت تحبين البيت وحين أريد إغاظتك أشبه كل شيء حولي بمواد وأنابيب المعمل، هل تذكرين يوم كنا نرتدي ملابس جدتي ونقوم بأداء دورها ثم نضحك ملء أشداقنا حين تبحث عن ملابسها فلا تجدها.

زمان مضى وأيام انقضت لم يبق في الذهن منها سوى الذكريات نروِّح عن أنفسنا وسط ساعات العمل اليومي الجاد.

لماذا يا أختي لا تشاركيني القيام ببعض الواجبات الاجتماعية، نسلم على الأعمام أو الخالات، نزور مريضة أو قريبة، لقد قاطعت الناس جميعًا، الأقارب والجيران والأصدقاء وحتى إخوانك، هل أنت تعاقبين الناس جميعًا على ذنب لم يرتكبوه، ليس لأحد مصلحة في كل ما حدث لك، إن الجميع متفاعل معك بعضهم يرحمك ويشفق عليك وآخرون يشنفون الآذان ليسمعوا أخبارك وقلة لا تبالي بما يحدث لك.

كان الله في عونك، خالة قاسية متسلطة وزوج قاس ظلوم، أنا أعلم أنك عانيت كثيرًا في بداية حياتك الزوجية ولكن ينبغي ألا يكون ذلك عائقًا أمام سعادتك.. اجعلي ذلك دافعًا لك للمزيد من الحب والعطاء لمن حولك، لا تعذبي أحبابك بهجرانهم، لا تكوني ضعيفة أمام الناس، اخرجي وتمتعي بحياتك، لا تغلقي بابك، زوجك لن يتغير فهو كالجسم الجامد، هو حقًا لا يحبنا، لكنه لا يمنعك من زيارتنا والخروج معنا في رحلات، احمدي الله فأنت أحسن حالًا من غيرك، أنت حقًا لا تذهبين إلى السوق ولا على الخياط لكنك حين توصين من يشتري لك حاجتك فإنه زوجك لا يرفض أن

يعطيك حاجتك من المال، إن إخواني على أتم الاستعداد لإيصالك والمجيء بك، السيارات كثيرة وليس هناك ضيق أو حرج أو مشقة فهيا، غادري قوقعتك وأشعريني بقربك مني، واعلمي أن تعاملك مع من حولك هو تفاعل كيمائي إن تم بمقادير محددة وحسب طريقة محددة وفي ظروف معينة فستحصلين على نتائج صحيحة ومذهلة أما إن اختلت بعض الشروط فربما حدث ما لا تحمد عقباه وخرجت من مختبر الحياة محروقة وبجروح وخيبة.

هذه ليست فلسفة، بل واقع ملموس صغته لأني أرى رابطًا قويًا بين التفاعلات الكيميائية وبين التفاعلات الحياتية بتشابكها وتعقيداتها.

زوجات إخواني يسألون عنك؟ سعادتنا لا تكتمل بدونك؟ في كل اجتماع أشعر بنقص ما؟ العيب فيك والعيب عليك، لقد حرمت أبناءك متعة الاجتماع بأقرانهم واللهو واللعب معهم؟ إلى متى ستظلين على هذا الحال؟ ألا تفتحين قلبك لندائي، ألا تستجيبين لصوتي... أختي أين أنت؟!!(*).

«أخنك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

عندما تموت الرحمة في قلب الأب

الأب كلمة خفيفة على اللسان ولكنها ثقيلة بالمعنى، فالأب رمز العائلة هو راعيها وسيدها وهو عمود البيت، الأب هذا الرجل العظيم فلا يعرف قدره وقيمته إلا من فقده، وهو الحضن الدافئ والملجأ الآمن، ولكن ماذا لو كان هذا الحضن باردًا برودة الثلج، وهذا الملجأ أمنه كأمن اليهود، ماذا لو كان هذا الرمز مشتتًا شمل عائلته، وماذا لو كان هو معذبهم وسبب ألمهم..

هذه قصة مؤلمة أرويها لكم تبدأ الحكاية بخطبة شاب لابنة عمه وطبعا فرح العم بهذا النسب كثيرًا لأن عندنا اعتقادًا أن ما فيه أحد يصون البنت ويرعاها مثل ولد عمها وطبعًا تم الزواج وسط سعادة الأهل. ولكن بعد فترة أحست الفتاة بأن هذا الزوج لم يكن هو الزوج الذي طالما تمنته، بل كان رجلًا تافهًا ومريضًا ولا يتحمل المسئولية، حاولت الفتاة تقويم ابن عمها ولكنها لم تستطع وحاولت الصبر عليه حتى لا تغضب أهلها وعاشت معه، ولكن وبعد أن كثر الأبناء وأصبح لديها أربعة أولاد ولدان وبنتان زادت المشاكل كثيرا، أصبح يغضب لأتفه الأسباب أصبحت الحياة معه لا تطاق، وخافت الفتاة على أولادها من هذا الجو المليء بالمشاكل فطلبت الطلاق، وبعد إصرار منها ومن أهلها وافق الزوج على الطلاق مكرهًا وتم الطلاق، ولكن لم تنتهِ معاناة هذه الفتاة بل بدأت عندما قام زوجها بأخذ أولادها ضاربًا بعرض الحائط كل توسلاتها له ورجاء عمه وأولاد عمه بتركهم عند أمهم ولكن رفض وأصر على تعذيبها بأخذهم منها.

وبعد انتهاء العدة خطبها شاب آخر وافق والدها وأهلها وتم الزواج وعندما علم الزوج السابق بموعد الزواج قام بإرسال ابنتها الصغرى ذات الأربع سنوات إليها ليس رحمة ولا شفقة بل حسد وغيرة، وعادت إليها أولى فلذات أكبادها أما الآخرون

فبقوا عنده ولكي يزيد في تعذيبها تزوج بأخرى وجعل أولاده خدمًا لها. كانت هذه الزوجة الثانية مثالًا حيًا لزوجة الأب القاسية، كانت تعامل الأولاد بمنتهى الوحشية، فتجعلهم كالخدم يقومون بتنظيف البيت ومن يعصي تقوم بضربه لدرجة أنها كانت تضربهم بخرطوم الماء أو سلك التليفون وعند الساعة العاشرة مساء تقوم بإدخال الفتاة التي مازالت طفلة في الثامنة من عمرها إلى غرفتها وتضع لها حوضًا مليئًا بالماء وتقفل عليها الباب بالمفتاح وكذلك تفعل بأخويها نادر (١٢ سنة) ومحمد (١٠ سنوات)، فتقفل الباب حتى اليوم التالي، ولكم أن تتخيلوا أطفالًا صغارًا يحبسون طوال الليل بعد أن كانوا ينامون هانئين في أحضان أمهم ويعيشون دائمًا في رعب وخوف من أن يخطئوا أو يقصروا.

كل هذا يحدث تحت نظر والدهم وعلمه ورضاه ومساعدته أيضًا وعاش هؤلاء الأطفال في جحيم وأصبح والدهم هو عدوهم الأول وسبب تعاستهم، ولكن بعد فترة أراد الله لهم أن يرتاحوا من ذلك العذاب حتى وإن كان هناك بعض الخسائر ففي ذات يوم وكان يوم خميس قامت زوجة الأب وكعادتها بإقفال الأبواب على الأولاد ولكن عند الساعة الثانية عشرة لم يستطع محمد ذو العشرة أعوام تحمل الألم فقد كان يريد الذهاب إلى الحمام (أكرمكم الله) ولم يستطع منع نفسه حتى يأتي الصباح فقام بطرق الباب وبعد حوالي الربع ساعة جاءت زوجة الأب غاضبة وفتحت الباب وهي تصرخ: (وجع إنشاء الله وش عندك أزعجتنا) محمد: أريد الحمام يا خالة.

زوجة الأب: حمام بس وأزعجتنا لك ساعة عشان حمام وهذا وشوله أنا حاطته (أشارت إلى حوض الماء) ثم قامت بركل محمد ركلة قوية على بطنه ثم بصقت عليه وأقفلت الباب وعادت إلى زوجها أما محمد فظل طوال ساعة كاملة ممسك ببطنه ويصرخ ويبكي من شدة الألم وأخوه نادر يحاول تهدئته، وبعد فترة هدأ محمد واستسلم

للنوم فحضنه أخوه نادر وناما بسلام، وعند الساعة الثانية والنصف ليلًا استيقظ نادر على صوت أخيه محمد وهو يناديه: نادر نادر بطني ما عاد أقوى بطني بأموت، سمى عليه نادر وحاول تهدئته مرة أخرى ولكن هيهات، ثم فجأة سكت محمد ثم نظر إلى أخيه نادر وابتسم ابتسامة رائعة وقال له: نادر أنا أحبك وأحب أخواتي وأمي بس أبوي ما أحبه، ثم حضن أخاه وشخصت عيناه.

نعم مات محمد وكاد نادر أن يجن بعد أن تأكد أن أخاه مات بين يديه، فماذا تتوقعون من هذا الصبي ذو الاثنى عشر ربيعًا، لقد قام بفعل لا يفعله بعض الرجال، فقد أغمض عيني أخيه ثم قام وأخذ الماء الذي تضعه لهم تلك البومة وغسل أخاه!! نعم غسله كما علمهم الأستاذ ثم قام بلفه بغطاء السرير ظنًا منه أن هذه هي طريقة التكفين الصحيحة ثم وجهه للقبلة وصلى عليه صلاة الميت كما تعلمها،

بعد أن انتهى توجه إلى الباب وظل يطرقه من الساعة الثالثة فجرًا إلى ظهر اليوم التالي، استيقظت زوجة ابيه على صوت طرقه للباب فأيقظت والدهم وهي تقول: عيالك ما خلوني أنام طول الليل، أزعجوني يطرقون الباب، قم سكتهم وإلا والله لأذبحهم!

قام الوالد غاضبًا واتجه إلى غرفة أولاده وفتح الباب بغضب وقال: ماذا تريدون؟؟ نظر إليه نادر وقد ذهب لون وجهه وقال: يا أبي مات محمد.

الأب: ماذا؟؟ نادر: مات محمد!!

توجه الأب مسرعًا إلى ولده وقلبه ولمسه فإذا هو بارد كالثلج، حمله وذهب به إلى أقرب مستشفى وهناك أخبره الطبيب أن ابنه قد مات قبل تسع ساعات بسبب انفجار المثانة عندها كاد الأب أن يجن.

ولكم أن تتخيلوا حال أمه عندما عرفت بموته وهي بعيدة عنه. عندها أمر العم ابن أخيه إن لم يعد بقية الأولاد إلى أمهم فسيبلغ أنه هو وزوجته سبب موت محمد ولخوفه الشديد هو وزوجته سلمهم (نادر وأخته) ولكن بعد أن كانوا محطمين!!.

ما رأيكم بهذا الأب الذي ليس لديه ذرة عطف لا هو ولا زوجته المتوحشة؟؟؟ والله يا إخواني هذي قصة حقيقية حصلت لأحد أقاربي ووالله إني شفت أثر الضرب على ظهر نادر وأخته وتكلموا معي وقصوا إليَّ قصتهم وهم شبه مجانين.. وما أقول إلا الله يسامح أباهم وزوجته، إنا لله وإنا إليه راجعون(*).

❀❀❀

(*) موقع «القصص الواقعية».

obeikandl.com

أسيرة تنتظر الفرج!!

(ناجي) ابن عمي، فرضت علي العادات أن يكون زوجًا لي، ليس في ذلك رأي أو صوت مسموع، توفي والدي منذ سنوات قليلة وكانت والدتي قد سبقته، وصار أخي وليي في الزواج، زفني إلى (ناجي) دون أن يعرف مدى كفاءته أو هو لا يريد أن يعرف (هناء لناجي) وكفى. رمى بهذا الحمل الوديع في أحضان ذئب جائع حطم عظامي وشق الأخاديد في لحمي وزرع الرعب في قلبي.

(ناجي) كأسوأ ما يكون الرجال فظ غليظ القلب مدمن مخدرات، سكير عربيد لا تقع العصا من يده، ولا تكل كفه من الضرب والصفع، يضربني عند أتفه الأسباب وأحيانًا بلا مبرر، إن حذرته من سوء عاقبته ضربني، وإن أيقظته للصلاة بصق في وجهي، وإن حدثت بيننا مشادة بسبب هذه السموم وما أكثرها شدني بشعري وضرب رأسي في الحائط، امتلأ جسمي رضوضًا وكسورًا، يخرج من البيت ولا أعلم إلى أين يمضي، ثلاث أو أربع ليال خارجه يغلق الباب علي بالمفتاح يسجنني ويتركني أتعذب بالوحدة، بالقهر، بالاستبداد، وأحيانًا بالجوع، ليس في البيت ما يسد الرمق، بيت شبه مهجور ليس فيه رجل يعول أسرة، بل جلاد يعذب ضحيته بشتى أنواع العذاب ولا غرو في ذلك، إنه مدمن مخدرات تارك للصلاة وليس بعد الكفر ذنب.

سنوات قضيتها في الأسر مضطهدة، مهدرة الكرامة لم يلتفت لي أخ ولم يسمع شكواي شقيق، إخوتي طردوني، في كل مرة ألجأ إليهم أسمع منهم كلامًا جارحًا يدمي فؤادي ويزيده كمدًا وغمًا (ما عندنا بنات تعيب رجالها.. ولد عمك ما يعاب.. بيتك وإلا قبرك) زوجاتهم تضايقن مني، أبنائي صاروا خدمًا في بيوتهن. ذل هنا وبؤس هناك، أعيش بين نارين بل في نارين، اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي وهواني

على الناس، اللهم ارحم هؤلاء الصغار المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بك (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت).

لملمت حقائبي واحتضنت أفراخي وخرجت، ركبت أول سيارة أجرة واتجهت إلى زنزانتي، عفوًا أعني بيتي وألجأت أمري إلى الله.

ذات يوم كان جلادي خارج السجن يتم عربدته، كأني أسمع طرقًا على الباب بل إن الجرس يرن، هذا فرج أم أحد أصدقاء زوجي كالعادة، أوجست في نفسي خيفة من هذا الطارق بليل؟ رفعت سماعة الباب وهمست بقلق: مَن؟!.

الصوت: افتحي يا هناء. من؟ هناك من يعرفني، من ينادي باسمي، الصوت ليس غريبًا، بحة صوت أخي أمي - رحمها الله - هل يعقل أن يكون هو..؟ من أخبره؟ من أرسله؟!!.

وتزاحمت الأسئلة في ذهني وعاد صوته أقوى من السابق (فاتحي أنا خالك عبد الله)، وفتحت غير مصدقة، صافحته، وقبلت رأسه وكتفه ويده؟ هل كنت أعرف أن الله ساقه إليَّ ليفرج به كربي؟ لم أكن أعلم لماذا قابلته بتلك الحرارة؟!.

لم يدع لي فسحة للتفكير قال معاتبًا ومستحثًا: أنت في كل هذا العذاب ولك خال اسمه عبد الله ولا تستنجدين به.. لو كانت أمك حية ما فعلت فعلتك.. يله اجمعي أغراضك وهاتي عيالك وتعالي عندي في البيت..إذا ما شالتك الأرض تشيلك عيونا.. وإذا ضاق بك المكان توسعك صدورنا.

خرجت من سجني من قبري إلى حياة جديدة وسعى خالي مع سعاة الخير الذين أبلغوه بحالي إلى فك وثاقي من ذلك الظالم وأعطوه ما يرضيه ووقف خالي مدافعًا عن حقي في تقرير حياتي ضد إخواني، واستطاع استخراج حكم من المحكمة بحق

حضانتي لأبنائي فوالدهم غير مؤهل وغير سوي وغير صالح، إنهم في الواقع لا يعرفون لهم أبًا.

مكثت عند خالي حتى تمت تسوية الأمور بشكل نهائي ثم استأجر لي شقة قريبة بل ملاصقة لبيته، أثثها وأتم لوازمها، وها هو بين الحين والآخر يتفقدنا بحنانه وحبه، أجرى لي راتبًا شهريًا لا ينقطع حتى بعد وفاته - حفظه الله - هيأ لي أسباب الراحة ورعاية الصغار، التحق أبنائي بالمدارس القريبة، فأرسل خالي لوازم المدرسة ما يكفيهم لعام كامل وزيادة، إنه يرسل لي بعض الخضار والفاكهة واللحم، يسألني إن أردت الذهاب إلى السوق ألا أخجل من الطلب مع أنه لا ينسى الأبناء من الثياب والأحذية والألعاب أيضًا.

أسير كان ينتظر الموت في كل لحظة، طائر في قفص سلبت منه أسباب الحياة لا هواء، ولا ماء ولا طعام، أين كنت وكيف أصبحت، أنام الآن قريرة العين بين أبنائي على فرش وثيرة وكنت في الماضي أنام بينهم في غرفة أغلق بابها بإحكام، أخاف من ناجي أو أحد أصدقائه، كنت حقًا لا أنام ولا يغمض لي جفن حتى الصباح حيث تشرق الأرض بالنور الذي يعمي عيون الفاسقين ويلجئ الخفافيش إلى الاختباء، الآن أزور خالي ويزورونني، أخرج معهم للبر أحيانًا، أشعر أن لي أهلًا وعشيرة أعيش وفي رقبتي دين كبير لخالي لا يمكنني سداده، هل يكفيك أنني أدعو لك في السجود وفي جوف الليل الذي حملت سهامه بوادر الفرج لما كنت فيه. هذا كل ما أملكه، أسعدك الله وقر عينيك ببر أبنائك بك وحماك من كل مكروه(*).

«ابنة أخيك»

(*) مجلة «الدعوة».

كما تدين تدان!!

في هذه الغرفة الواسعة والعيشة الرضية والوجوه السمحة والقلوب الطيبة أتعذب كل يوم.. لماذا؟! قبل أربعين عامًا كنت صغيرة دون العاشرة وكان زوجي شيخًا في الستين، كان له زوجة سابقة وأبناء ماتوا جميعًا لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ولد واحد هو فيصل كان هادئًا وديعًا وكان والده يطلب منه أن يسميني أمي فكان ينادني كذلك.

لم أحب هذا الولد ولم يكن في قلبي رحمة له، كنت أشعر أنه حمل ثقيل كنت أتمنى موته صرت أفتعل المشكلات بسببه وأتذمر منه وأدعو عليه كان صغيرًا لا يحتمل الضرب فكان والده يقرص أذنه أو يشد شعره، أما أنا فكنت أضربه وأحبسه في غرفته وأحرمه من وجبة غذائه، عاملته بكل قسوة وحين رزقني الله ولدًا قسوت عليه أكثر، صرت دائمًا عابسة في وجهه أكدر عليه حياته لا أعيره أي اهتمام أما ابني فله المكانة الرفيعة والوجه المتهلل.

كبر فيصل وكبر ابني أيضًا لم يكن الفارق العمري بينهما كبيرًا لكن الفارق الاجتماعي كان واضحًا سليمان.. ملابسه رثة ومتسخة وحقيبته مقطعة أما ابني عمرو فكان دائمًا نظيفًا مرتبًا أحرص على فطوره وغدائه.

مرض زوجي وازدادت قسوتي على ابنه كنت أحضر الغداء لي ولابني من أطايب الطعام وأجوده وكنت أترك لفيصل الفضلة، تمنيت موته وسعيت إلى ذلك مرارًا بتركي للغداء بعد أن نفرغ منه دون غطاء في المطبخ لعل الهوام أن تأكل منه أو تمشي عليه فيتسمم ويموت فيصل لكن لم يضره ذلك بشيء. ضيقت عليه الخناق، آذيته باللسان وباليد، اتهمته بالسرقة، ولم تفد كل المحاولات، كان ملازمًا لفراش والده يرعاه ويعتني به حتى مات.

كان يومًا باردًا لم يشفع صقيعه ولا الحزن الذي غمرنا بوفاة زوجي فيصل فطردته من البيت (لم يعد لك مكان هنا، وليس عندنا شيء لتطالبنا به) خرج والحزن يكسو وجهه والأسى في عينيه وقلبه مكلوم كسير، شاب في الخامسة عشرة من عمره، أين يذهب؟! وإلى من يلجأ؟ كل هذا لا يهمني، (المهم أنني استرحت منه).

خرج وخرجت معه آثاره ولم نعد نعرف عنه شيئًا، عشت مع ابني في سعادة وراحة حتى كبر واستثمر المال وتاجر وأغناه الله وأقام مصنعًا كبيرًا للبلاستيك، تزوج وبنى قصرًا كبيرًا فيه غرف كثيرة وملاحق كبيرة، لكن هذا القصر لا يسعني زوجته ضاقت بي، كانت تسومني سوء العذاب منعتني من دخول المطبخ أو الجلوس مع الأولاد في غرفهم قبل النوم، حتى النخيل التي أحبها رفضت أن أعتني بها أو أسقيها لأن البستاني يفعل ذلك. جعلتني في أقصى البيت في غرفة وحين بدا لها أن تستفيد منها!! أخرجتني إلى الملاحق فلم أعد أرى أحدًا، ابني مشغول بعمله وبها وبمشاويرها التي لا تكاد تنتهي وحين تبقى في البيت تصب غضبها علي تقول إنني أفسد عليها أبناءها وأنني أحرجها أمام ضيوفها وأنني وإنني.. صارت حياة ابني شكوى وتذمر حتى صار يذهب إلى المصنع وهو مهموم مشغول البال مما يجعله يفقد صفقة كبيرة ذهبت إلى غيره وكانت في طريقها إليها. فجن جنونه فكانت فرصتها لتضرب ضربتها.

عرض علي ابني الذهاب إلى أحد الأقارب أبناء عمومتي حتى تهدأ العاصفة ووعدني بأنه سيأتي ليأخذني، حملت حقيبتي وأرسلني مع السائق. كان ابن عمي كريمًا معي بالرغم من ضيق ذات اليد، أعطاني الملحق غرفة واحدة ودورة مياه وفراش صغير في أحد جوانب الغرفة وضعت رأسي على الوسادة واستسلمت لتفكير عميق. مضت الليالي، وشهر وثان وثالث ولا أحد يسأل، أو يدس في جيبي مبلغًا من المال. لم يأت وأظنه لن يأتي!!.

فيصل أين أنت!! الآن أذكرك لقد أذقتك المر صباحًا ومساء، أين أنت لتروي غليلك بحالي ولتشمت بي وبما وصلت إليه؟!! إن الله سبحانه يمهل ولا يهمل!!.

في ظهيرة أحد الأيام اعتدلت في جلستي وأسدلت خماري على وجهي وتوشحت غطاء على جسدي أثر صوت ابن عمي يطرق الباب ويتنحنح جاك ضيوف يا أم عمرو. ضيوفي يأتون دون احتفال يدخلون يثرثرون قليلًا ثم يخرجون، من هذا الضيف المميز الذي يستحق كل هذا الاحتفاء؟ ابني؟ لا أظن... مرت سنتان ونصف وهو لم يسأل عني.

فتح الباب فإذا أنا قبالة شاب في الأربعين من عمره تقريبًا ينضح شبابًا وبهاء ويكسو وجهه نور الطاعة وتحفه لحية كثة، دخل وسلم: من أنت يا ولدي؟ ما عرفتك؟. كلمة واحدة قالها زلزلت كياني وهزت وجداني: أنا ولدك فيصل.

أخذ بيدي وحمل حقيبتي وبدأ يحدثني عن أبنائه وزوجته إنهم في شوق لرؤيتك، لقد أحبوك وهم في البيت ينتظرونك.

بعد ذلك بأيام لامني فيصل كثيرًا أنني بقيت عند أقاربي ولم أبحث عنه، أخبرني أنه يتقصى أخبارنا دائمًا وأنه يعرف عنا تقريبًا كل شيء قال لي: إنه لا ينسى العشرة إلا لئيم.

لذا فأنا في عيشة رضية وبين قلوب طيبة ومع هذا أتعذب كل يوم بسبب ما فعلته في فيصل أيام كنت صاحبة البيت ولم أستوعب قول النبي ﷺ: «**افعل المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله**»(*).

«زوجة أبيك»

(*) مجلة «الدعوة».

صبرت على زوجتي فأصلحها الله

الصبر على البلاء اختبار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. زوجني والدي من ابنة صديقه. تلك الفتاة الهادئة الوديعة التي طالما تمنيت أن أرتبط بها رغم أني لم أرها إلا مرات قليلة عند زياراتهم لنا في بيتنا الكبير. كانت صغيرة السن يوم خطبتها ولمست فيها حياء جميلًا وأدبًا رفيعًا لم أره في فتاة من قبل، وبعد عدة شهور تم الزواج.. عشت معها عدة أيام في نعيم مقيم. وفي اليوم الخامس تقريبًا وبعد أن انتهى الطعام الذي كان مخزنًا لدينا، فاجأتني بصوتها الهادئ أنها لا تعرف أي شيء عن الطبخ.

فابتسمت وقلت لها: أعلمك. فاختفت ابتسامتها وقالت:لا؟ قلت: كيف لا؟ فكشرت وقالت بحدة: لن أتعلم.

حاولت إقناعها بهدوء بأهمية هذا الأمر ففاجأتني بصرخة مدوية كادت تصم مسامعي. أصابني ذهول شديد وأنا أراها تصرخ بدون توقف.

أخذت أتوسل إليها أن تهدأ دون جدوى، ولم تتوقف إلا بعد أن هددتها بالاتصال بأبي، فعادت إلى هدوئها ورقتها.. لم يكن من الصعب أن أكتشف أنها كانت تدعي الرقة والوداعة، وأن صوتها هذا الذي كان سببًا في إعجابي بها كان يخفي من خلفه نفيرًا أعلى من نفير أي قطار (ديزل) على وجه الأرض، لقد أصبح كلامها كله لي أوامر عصبية متشنجة، ولم تعد تهدأ إلا إذا هددتها بالاتصال بأبي، فتعتذر بشدة وتؤكد أنها لن تعود إلى هذه الأفعال.

سألت والدتها عن أمرها هذا؟ فقالت وهي تكاد تبكي:إن ابنتها قد أصيبت بصدمة عصبية في طفولتها أفقدتها الاتزان وجعلتها تثور لأقل سبب.

لم أقتنع، وسألتها: لماذا لا تهدأ ولا ترتدع إلا أمام أبي، فأخبرتني أنها منذ طفولتها كان كثيرًا ما يعطف عليها ويأتي لها بالحلوى واللعب، ومن أيامها وهي تحبه وتحترمه أكثر من أي إنسان آخر.

يا إلهي..إن والدي كان يعلم بحالتها ولم يخبرني· لماذا فعل أبي ذلك معي؟؟؟ قبل أن أفاتح أبي أني سأطلقها فورًا قدر الله أن أستمع في المذياع إلى حديث لرسول الله ﷺ يقول فيه: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن رضي وصبر فله الرضا ومن سخط فله السخط**».

نزل الحديث على قلبي كالماء البارد في يوم شديد الحرارة، فعدلت تمامًا عن فكرة الطلاق وفكرت أن هذه هي فرصتي الذهبية كي أنال رضا الله - جل وعلا- بعد أن أذنبت في حياتي كثيرا، وقررت أن أصبر على هذه الزوجة عسى أن يصلحها الله لي مع مرور الوقت.. تحملت الصراخ الدائم في المنزل، وكنت أضع القطن في أذني فكانت تزيد من صراخها في عناد عجيب، هذا إلى جانب الضوضاء التي لا تهدأ في الشارع الذي نسكن فيه حيث يوجد أكثر من أربعة محلات لإصلاح هياكل السيارات· ولأن عملي يتطلب هدوءًا في المنزل، فقد كدت أفقد عقلي أمام هذا السيل الصاخب من الضوضاء، ولكن كان دائمًا يمدني حديث الرسول ﷺ الذي كتبته أمامي على الحائط بخط جميل بشحنة جديدة من الهدوء والصبر، وكان ذلك يزيد من ثورة زوجتي.

وهكذا استمرت أحوالنا شهورًا طويلة كاد أن يصيبني فيها صدمة عصبية أشد من تلك التي أصابتها، أصبح الصداع يلازمني في أي وقت، وأصبحت أضطرب وأتوتر جدًا لأي صوت عال ونصحني إمام المسجد المجاور لبيتي ألا أدع دعاء جاء في القرآن الكريم وهو: «**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا**» حتى رزقنا الله بطفلنا الأول، وكان من نعمة الله علينا في منتهى الهدوء لا يكاد

يصدر منه صوت...!!! بكاؤه حالم كأنه غناء، وكأن الله عـوضني به عن صبري خيرا، وفرحت به زوجتي جدًا ورق قلبها وقل صراخها، وأيقنت أن همّي سيكـشفه الله بعـد أن رزقنا بهذا الابن الجميل. والآن وبعد طفلنا الثاني تأكدت من تخلص زوجتـي تمامًـا من أي أثر لصدمتها القديمة، بل ومنّ الله علينا فانتقلنا مـن سـكننا القـديم إلى منطقـة هادئة جميلة لا نسمع فيها ما كنا نسمعه..سلام قولًا من رب رحيم ..لقـد ازداد يقينـي أن الصبر على البلاء هو أجمل ما يفعلـه المـسلم في هـذه الحيـاة. وأنـه الـسبيل الوحيـد للوصول إلى شاطئ النجـاة!! (*).

❁❁❁

(*) موقع «القصص الواقعية».

obeikandl.com

بيت الطين واستراتيجية التطفيش..!!

كالغصن اليابس الذي انقطعت عنه أسباب الحياة، أجلس وحيدة في هذا البيت الطيني، في هذه الزاوية أتجرع الألم وأمضغ الحزن، أشاطر دموعي الجلسة وقلبي مستمر في النزف... أعيد شريط حياتي حتى الصغر.. طفولة بريئة يعقبها شباب ونضارة فزواج ومسؤولية، سعادة ونشوة.. لكنها أبدًا لا تدوم.. موت ويُتْم وفقر ومعاناة.

ولدي.. لقد أحببتك.. ضحيت لأجلك بكل شيء.. شبابي وصحتي.. عفت الرجال لعينيك... كرهت أن يشغلني عنك أحد.. وهبتك روحي.. دمي.. نبضات قلبي.. دفق مشاعري.. بريق عينيك يبعث الدفء في ضلوعي حين يقرصني زمهرير الحياة.. بسمتك تروي ظمئي وتسقي عروقي حين تلفحها حرارة الفقر.. كنت بلسم جراحي، ودواء آلامي عشت لأجلك أكثر من عشرين عامًا. عانيت وقاسيت وواجهت الوحدة والألم أذب عنك وأحاول أن أحميك.. بذلت لأوفر لك اللقمة الطيبة والملبس الحسن والمسكن الهنيء.

حكت الملابس، بعت واشتريت، مددت يدي للآخرين أطلب سلفة، دفقت ماء وجهي لأجلك.. تكبر وتكبر معك.. (هاني) تأخذ وتأخذ بلا مقابل، دائمًا تريد وتحتاج، المدرسة، الأصدقاء، الحياة... كلهم لهم متطلبات، ترهقني وتقطع قلبي حسرة عندما يتفوه فمك بكلمات كسيرة (لماذا ليس عندي مثلهم) أقرانك عذبوني.

المدرسة زادت العبء.. والشباب جعله ثقيلًا، والدك رَحِمَهُ اللَّهُ توفي مديونًا بمبالغ كبيرة، بيع البيت والأثاث والسيارة والمكتب ولم تكف لسداد ديونه ولولا رحمة الله سبحانه ثم إحسان بعض المحسنين لعشت بقية عمري معك في الشارع، هو حقًا بيت طيني صغير لكنه خير من الملجأ أو القبر. حرمت على نفسي كثيرًا من المتع والضروريات لأوفر لك السعادة، بعت فرحتي وراحتي لأشترى رضاك وبسمتك.

خياطة الملابس لم تعد تربح، الناس يذهبون إلى هذا الخياط الآسيوي فمحلاته باتت في كل مكان فضعف بصري واحدودب ظهري على لا شيء فبحثت عن مصدر رزق آخر، وعملت مستخدمة في إحدى المدارس أغسل الحمامات وأكنس الفصول وأحمل نفايات الطالبات، كله لا تمكن من إسعادك أريدك أن تعيش كما تحب، لا أود أن ينقص من حاجتك شيء.

تظلم الدنيا في عيني حين تطلب ما أعجز عنه، وأضع رأسي على وسادتي وقد سبقتني الدموع إليها أدعو الله أن يغنينا من الفقر ويرزقنا الحلال.

انكببت على دروسك، وانكببت على نفسي أعللها وأصبرها حتى يفرجها الله، فلولا الصبر ما طاب لي عيش أبدًا. تمر السنون والأعوام تعركنا وتطحننا طحن الرحى.. تغربلنا، تضربنا بسياطها اللاسعة ونحن نهرول بل نجري في طرقاتها وأزقتها نبحث عن الرزق ونسعى إليه، وتمر سنون أسأل الله أن يكون ما لاقيت فيها في ميزان حسناتي وتكفيرًا عن سيئاتي، وتولي ساحبة معها بساط الفقر والهم وتشرق البسمة في حياتي، وتعرف الفرحة طريقها إلي مرتين مرة حين نجاحك بتفوق وتعيينك في المكان الذي تريد والأخرى حين زواجك.

نخرج نودع بيت الطين الذي آوانا طوال تلك السنين، نحبه ونحتفظ به فالذكريات فيه لها طعم خاص كرائحة الطين حين يبلل بالماء.

(لقد آن أوان الراحة.. ولى زمن الشقاء.. أقبلت الدنيا علينا بوجهها السمح الوضاء... أبشري يا أمي.. كل لحظة قضيتها في نصب وعناء ستعيشين بدلًا عنها ساعة في فرح وبشر وهناء، لقد آن ليديك المعرورقتين وظهرك المنحني وعينيك المكدودتين آن لها أن تعرف الراحة) كلام جميل، غسل بعض غبار السنين العجاف، أزال بعض الصدأ الذي غشى السعادة، لكنه سرعان ما طارت به الريح، ذهب إلى حيث لا رجعة،

آنسته العادة الهيفاء وجه أمه المتغضن وشعرها المنكوش ويدا زوجته البضتان، آنستاه يدي أمه الكادحتين وماكينة الخياطة وبيت الطين، ودولاب ملابسه المليء بأفخر أنواع الثياب محا من ذاكرته ثوب العيد تلك المأساة السنوية التي كانت أشق ما تواجهني.

نسي (ابني البار جدًا) في حياته الجديدة شقاء حياته القديمة بل أنكرها.. صار وجودي في بيته يذكره بكل لحظة من لحظات الماضي الكئيب الذي صار يكرهه، يمقته، لا يود ذكراه. أنا جزء من ذلك الماضي وقطعة من ذلك التراث إذن يجب أن أغيب عن الأنظار وأن تمحى آثاري، والاستراتيجية العسكرية التي صنعتها زوجته كانت كفيلة بأن (تطفش)، أشد الناس عنادًا وصبرًا فما بالكم بامرأة ضعيفة أناخ عليها الزمان بحمله وثقله فما عاد في نفسها مكان للصراع ولا مساحة للنزال.

انسحبت وخرجت من بيته الفخم الواسع إلى ذلك البيت الطيني المنزوي في أحد الشوارع القديمة حتى اقتربت منه شعرت بيديه تحملني وجدرانه تضمني، إنه أشد وفاء من البشر وأحن من أصحاب القلوب الحية. لبناته، ذرات التراب فيه.. جدران المهترئة.. أبوابه الخشبية وطقطقة أرضه تذكرني بصوت (عبد العزيز) وأنفاس (عبد العزيز) وضحكاته، إنها مع الأسف تزيد البيت وحشة والقلب حسرة إني غاضبة عليك إلى يوم القيامة، وعند الله تجتمع الخصوم! (*).

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

امرأة في قفص الجحيم

أنظر إليه.. إلى تقطيبة وجهه، والتجهم المرتسم على ملامحه... شتائمه التي تتزاحم على لسانه، وأندهش من أنه هو نفسه الرجل الذي تزوجته. وأتساءل بحيرة: أيمكن أن يكون هو؟!! أين كلماته الرقيقة.. وابتسامته العذبة؟! كيف ذهب كل هذا؟!! أيام وأسابيع ومضى شهر العسل ساحبًا معه اللحظات الحلوة، ليترك وراءه مرارة غريبة، حين تسيح الألوان عن وجه زوجي، لأرى حقيقته المؤلمة. إنسان غريب.. يشك في نفسه وفي الناس... وفي كل شيء حوله.. حين أهم بالخروج لزيارة أهلي، كانت الشكوك تتطاير من عينيه، وأسئلة غريبة ينثرها أمامي: (كل هذه الزينة لزيارة أهلك؟!) أخرج فأراه ورائي بسيارته.. يتبعني حتى بيت أهلي.. فأدخل وأنا أكاد أنتفض من شدة الغيظ، تستقبلني أمي بابتسامتها الحانية، تحاول تحتضن غضبي، أروي لها عنه فتضحك مرددة: (الغيرة أكبر دليل على شدة حبه لك) أحاول أن أنسى همومي معهم.. بأحاديثهم الجميلة الدافئة.. أعود بعدها لأواجه غرابة أطواره. حتى جهاز الهاتف منع دخوله البيت.. وكل الذي معه هاتف نقال يحمله أينما ذهب.. على مائدة الطعام.. وفي الحمام (أعزكم الله).. وحين ينام.. يخبئه تحت الوسادة. يخرج فيأخذ هاتفه معه خوفًا من أن أمد يدي إليه فأحدث أحدًا ما.. يحبسني بين أربع جدران.. لا أزور أحدًا ولا أحد يزورني.. وحين أسأله أن يخرجني معه للنزهة؟؟ يردد بوقاحة غريبة (الرجل الذي يخرج مع زوجته ليس برجل).

كرهت أسلوبه وشكه الغريب الذي لا يطاق.. وعندما حاولت أن أواجهه بتصرفاته الغريبة هذه ثار بي وقال: «أنا صاحب الكلمة في هذا البيت ولا أريد أن أسمع كلمة اعتراض واحدة بعد الآن».

قذف بكلماته وخرج.. ليتركني بسجني وحدي، أفكر في حياتي القاتمة معه.

وأتساءل: ترى هل ستغيره الأيام؟! حين عرفت بخبر حملي فرحت، فكرت بأن وجود طفل في حياتنا قد يغير فيه الكثير: طباعه الغريبة.. وتصرفاته التي لا تحتمل، جلست أنتظر عودته من عمله لأبشره بخبر حملي.. وحين عاد قلت له وأنا أتلعثم من فرط سعادتي: (أنا حامل!). رفعت عيني إليه أنتظر رد فعله.. توقعت أن يقفز من شدة الفرح.. أن يتفوه بأي كلمة تعبر لي عن سعادته.. توقعت أي شيء، إلا أن يجري كالمجنون ليأتيني بعصا، فينهال علي بها، لأنني فاجأته بحملي هذا!.

جريت إلى غرفتي أبكي بحرقة فلم أكن أتصور أن خبر حملي، ممكن أن يجعله يثور بهذه الطريقة الغريبة، والسؤال الذي لا أعثر له على إجابة واحدة، هو: لماذا تزوجني إذا كان لايرغب في أن يكون لي منه طفل؟!.

ومضت أيام قاسية.. تضافرت متاعب حملي وقسوة زوجي، لتحيل حياتي إلى جحيم لا يطاق. وذات يوم كنت في الشهر الخامس من الحمل، عندما كنا نتناقش في أمر من الأمور، فتفاجأت به ينهال علي بالضرب بلا رحمة، حاولت أن أحتمي منه في إحدى الغرف حتى خرج.. فلملمت أشيائي وفررت إلى بيت أهلي، ومكثت لديهم حتى أنجبت طفلي. وعلم بخبر ولادتي، فجائني راسمًا الفرحة على وجهه، مبديًا رغبته بعودتنا أنا وطفلي إلى بيته، وكلمات جميلة عذبة جعلتني أستسلم له، لأعود إلى البيت وأنا أحلم بحياة جديدة، تجمعني به وبطفلنا الصغير. ومضت أيام هادئة، حتى بدأت حقائق جديدة تظهر بحياتنا.. صرت أعثر في جيوب دشداشته وبين أوراقه على صور نساء ساقطات.. وأرقام تليفونات مذيلة بأسماء نساء.. ثم بدأت أرى آثار أحمر شفاه على غترته! وحين واجهته؟ قال لي: أنت إنسانة مجنونة توهمين نفسك بأشياء لا صحة لها.. وعندما جئت إليه بالصور وبثيابه الملطخة قال لي وبكل برود: أنت التي وضعتيها!.

لحظتها شعرت بكره شديد له.. وعشنا منفصلين ببيت واحد.. أنا وطفلي في غرفة.. وهو ينام وحده في غرفة أخرى. ولم يعد يهتم بأي شئ.. وصارت تصرفاته تزداد غرابة يومًا بعد يوم، حتى رأيته ذات يوم يستنشق مساحيق غريبة يندفع بعدها لشتمي ولضربي.. فعرفت أنه يتعاطى المخدرات! وعندما أواجهه كان يضربني.. ويركلني برجليه.. حتى فررت منه مرة أخرى.

ولكنه جاء هناك سادلًا على وجهه قناع البراءة مرددًا عليهم بنبرات رقيقة: إنني أحاول تحطيم حياتي بيدي. فصدقه أهلي.. وأعادوني إليه وأنا أبكي.. وما إن دخلت البيت، حتى بدأ بتنفيذ انتقامه لي، وصار يضربني بلا رحمة، وأوصد كل الأبواب بالمفاتيح، حرمني حتى من زيارة أهلي. وبقيت بسجني أترقب أي فرصة للفرار منه وجنونه، ولكن كل الأبواب كانت موصدة بوجهي، حتى جاء شقيقي لزيارتي ذات يوم، وعرف بالسجن الذي فرضه علي زوجي، لحظتها فقط أدرك حقيقة الجحيم الذي أعيشه مع زوجي ولا أعرف كيف استطاع أن يقنع زوجي، بأن أزور أهلي، وما إن وافق حتى جريت بلهفة مع أخي، لا أكاد أصدق أنني خرجت من سجنه. وحين عاد لاسترجاعي،رفضت أن أعود معه، حتى حين جاءني بعد أسابيع حاملًا وعوده وعهوده رفضت.. فلم أعد أريد شيئًا سوى ورقة إطلاق سراحي(*).

❀❀❀

(*) موقع «القصص الواقعية».

obeikandl.com

الفرصة الأخيرة

أحمل السلاح وحدى وأقاتل، أناضل عنك، أشهر مدفعي في وجه أعز الناس، أخوض معركة فاشلة وأتقمص دور المحامي وأدافع عنك، لقد نضب سلاحي وجف وقود مدفعي.. في كل مرة يقتادونك فيها إلى السجن متلبسًا بالجرم يقسم والدي ألا أعود إليك فأتعلق بأهداب ثوبه أرجوه ألا يفعل أعده بأنك سوف تتوب وستعود مازن ذلك الرجل الشهم الذي رغبوا في تزويجي له كنت أقبل رأس أبي ويديه وأنتحب فيرحم والدي دموعي ويتركني أفكر (هكذا يقول دائمًا) فتمر علي الأيام والليالي سوداء حالكة لا فيها بصيص نور ولا باريقة أمل فأستعين بالله وأتوكل عليه وأدعوه أن يهديك ويردك إلى رشدك.

أنت الذي جعلتنا في هذا الوضع المهين، أبناؤك يكبرون يخجلون حين يسألون عن والدهم، شبابهم ضائع، وطفولتهم حزينة، والدهم حي أم ميت ووالدتهم ممزقة، أما آن لك أن ترحمنا؟ أن تشعر بهذا الخزي الذي جلبته لنا؟ متى ترجع إلى الله؟ متى تتوب توبة صادقة؟ لقد تحملت أنا والأبناء الشيء الكثير وحمّلت والدي ما لا طاقة له به.

تسعة عشر عامًا ونحن في ذل المعصية، تسافر قريبًا وبعيدًا تبحث عن ما لا يرضي الله.. وكانت بداية الصعود إلى الهاوية ثم تطور الأمر ووقعت في شرك المخدرات، منذ عرفتها ونحن في شقاق وخناق نتخاصم وتعلو أصواتنا تضربني بأقرب شيء تصله يدك تخرج وتتركني بين دموعي وبكاء الأطفال ونظرات الأسى في عيون خالد.

لقد هجرت الحب، الحب الذي وهبته حين تزوجتك صار شيئًا من الذكريات، ذهب بريقه علته الأتربة التي تسفها عليه من الشقاء والتعاسة التي جلبتها لنا، لم نعد نعرف الاستقرار ولا الطمأنينة ولا الألفة صار لنا معجم خاص من الضياع والأسى الـ....

الآن هذه اللحظة أنت بين جدران سجنك، تفكر وحدك، تعيش وحدك حياة لا يرضاها العقلاء، الألم ربما يعصر فؤادك وسحائب الندم والتوبة ربما أيضًا تظللك وأخشى أن يكون هذا أمرًا وقتيًا مرتبطًا بهذا الظرف المكاني الذي تعيشه، وحين تنتهي مدة سجنك تعود إلى سالف عهدك. لقد فعلتها مرارًا والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين؟ فمتى تصدق العزيمة وتقوي الهمة؟ متى تشعر أن الوقت قد حان فعلًا لأن تغسل يديك من هذا الوباء الخطير سبعًا إحداهن بالتراب، أما آن لك أن تحرق دفاترك العتيقة وأن تغير أصدقاءك وتعيد ترتيب حساباتك؟ أقولها بصراحة لقد ضيعت مستقبل أبنائك، شتت أذهانهم عن الدراسة فصارت السنة باثنتين وثلاث، كرهوا الاندماج بالمجتمع ثم من سيزوج (ابنك) ووالده مدمن، (وابنتك) من سيخطبها وهي ابنة خريج سجون؟!!.

(تخنقني هذه الجدران، تكتم حريتي) كلمات ترددها كلما جئت لزيارتك فماذا أقول أنا أيضًا أعيش بين عيون جارحة وألسنة حادة وأسئلة حارقة هذه هي الزنزانة الحقيقية ولكن (الحرية هنا في القلب حين تتحرر من أوراق المعاصي وأسر الشبهات والشهوات.

حين يسلم قيادته لله رب العالمين، حين يسير على الدرب الذي سار عليه الصالحون، زوجي الحبيب عد إلى ربك وثق أنك لست وحدك في الميدان أنا والأولاد نخوض معركة ضروسًا تقتلني الوحدة وتحطمني عذاباتهم وتذروني رياح استفساراتهم أين أبي؟ متى يعود؟ لماذا يفعل ذلك؟ هو مظلوم أم...؟!.

مازن.. لقد نضجت اليوم، علمتني الحياة أشياء كثيرة فهناك فرق بين أن أضحي بسعادة أبنائي في سبيل إدمانك ومخدراتك وبين أن أضحي بك في سبيل سعادة أبنائي إنه حقًا خيار مر ولكن ربما أضطر إليه دفعًا للذي أمرُّ منه. حقًا لقد لمست في زيارتي

الأخيرة لك شيئًا غريبًا في عينيك، وهج يضيء، وأمل مشرق وتفاؤل ليس لـه حـدود، دفء عباراتك أشعرني بشيء ما.. و لكن سأنتظر سأمنحك الفرصـة الأخـيرة لأختـبر توبتك فإن صدقت فقد فزت بزوجتـك وأبنائـك بعـد رضـا الله وإن كانـت الأخـرى فذلك هو الخسران المبين، بيت والدي مفتوح لي ولكن أرجو أن تخيب ظن الـشامتين.. هداك الله إلى التوبة الصادقة(*).

«زوجتك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

ظلمتني ظلمتني

كانت البنت تتألم ألمًا شديدًا وتبكي وتصيح من ألم بطنها التي لم تستطع تحمله فذهبت إلى أبيها وسقطت مغشيًا عليها من شدة الألم فحملها الأب وإخوانها إلى المستشفى وعندما دخلت المسكينة عند الدكتور قام بالكشف عليها وكان بطنها منتفخًا قليلًا فقال لهم: مبروك ابنتكم حامل وبصوت واحد صاح الأب والأبناء كيييييييييي يييف؟؟؟ ورجعوا بها مسرعين إلى المنزل وقاموا بضربها ضربًا مبرحًا وركلها في بطنها وكانت تصيح المسكينة من ألم المغص الشديد ومن ألم الضرب وكانوا يصرخون فيها ويقولون: أنتي خاينة لقد جلبتي لنا العار!! وكانت تصيح وتقول: لقد ظلمتوني لم أفعل شيئًا لم أفعل شيئًا وكانوا يركلونها في بطنها بشدة حتى أغمى عليها فذهبوا بها إلى المستشفى ودخلت العناية المركزة وكانت حالتها خطيرة جدًا وقاموا بعمل فحوصات لها وأخبرهم الدكتور أن ابنتهم ليست حاملًا وأن المغص الشديد بسبب دودة كانت ببطنها فصرخ الأب والأبناء ودخلوا عليها وهي تلفظ آخر أنفاسها وتقول: لقد ظلمتوني لقد ظلمتوني لم أفعل شيئًا يجلب لكم العار ولا يغضب الله.. لقد ظلمتني يا أبي!!.

وكانت تنظر إليه وتردد كلماتها لقد ظلمتني لقد ظلمتني حتى فارقت الحياة!! ماتت المسكينة وهي بريئة من تهمة كان سببها خطأ طبي وكشف غبي وعدم مبالاة من الدكتور حسبي الله عليه ولكن يبقى اللوم على الأب وأبنائه لماذا تسرعوا وضربوا المسكينة فالفتاة بطبعها خجولة يكسوها الحياء والفتاة أو المرأة بصفة عامة مخلوق ضعيف لا تتحمل صفعة واحدة فما بالكم بالضرب الذي أصابها والألم الذي رافق الضرب «لا إله إلا الله» كيف تجرؤون وتسرعون بدون التأكد ماتت الفتاة فارقت الحياة

والسبب أبوها وإخوانها من السبب الحقيقي الأب وأبناؤه أم الدكتور الذي لم يقم بالتأكد وأخذ التحاليل والإشاعات اللازمة للتحقق أولًا قبل إبلاغ الأب؟.

يجب علينا أن نتعلم أن الحكم في الأمور بهذه السرعة من الغباء وأن مسألة كبيرة كهذه يجب أن لا نصدقها حتى تتبين حقيقتها من كذبها!!! وليست في هذه لوحدها بل يجب أن نعرف في العجلة الندامة وفي التأني السلامة(*).

❁❁❁

(*) موقع «القصص الواقعية».

obeikandl.com

الحنان والحب لا يشترى!

أدركت منذ اللحظة الأولى لزواج ابني (إسماعيل) أنه لم يكن سعيدًا، لكنني كنت أدفعه للتعايش السلمي مع الحياة الجديدة قلت: الحب يأتي مع الأيام، لم أكن أعلم أن هذه الأيام تحمل في رحمها نبأ طلاقه بعد ثلاثة عشر عامًا من الشد والجذب أثمرت أربع زهرات، داست عليها الأم وتركتها تجف وولت هاربة.

وتزوج إسماعيل وكنت هذه المرة خائفة، خفت على الأولاد من بطش زوجة أبيهم، وخفت على إسماعيل من عدم الوفاق، ولم يدر في خلدي أبدًا أن هناك أمًا بديلة. (فاطمة) امرأة عاقلة، في البداية (ما دخلت مزاجي) رأيتها تجامل كثيرًا فخفت على الأولاد منها، لكن العشرة والعيش معها أثبتت أنها نموذج فريد ليس في النساء مثله إلا ما ندر.

لقد فتحت قلبها وبيتها للأبناء وصارت لهم أمًا وأختًا وصديقة، يبثونها أسرارهم، يستشيرونها في حياتهم، يشركونها في مشاكلهم، أحبوها كوالدتهم، بل كوالدة لهم لأن والدتهم تركتهم وهم متعلقون بثيابها يرجونها البقاء ويسحبون حقيبتها يمنعونها من المغادرة فكانت تدفعهم بيديها بشدة وتدعو عليهم إمعانًا في إذلال والدهم وتعذيبه بهم كما تزعم فتكونت في قلوبهم الصغيرة صورة قاتمة لأمهم التي لم تسأل عنهم بعد ذلك اليوم.

(فاطمة) هي الوجه الناصع والصورة المثالية لزوجة الأب. حنونة، طيبة عاملتهم كأبناء لها، تأخذهم في زياراتها لأهلها، جعلت الجميع يحبونهم حتى أن الأطفال الصغار الذين لم يدركوا زواج فاطمة يعتقدون أن هؤلاء أبناؤها.

تسهر معهم أيام الامتحانات تعد لهم الشاي وشرائح الخبز المحشوة، تراجع لهم ما استذكروه، وتشرح لهم ما استصعبوه، وترفع يديها إلى السماء تدعو الله لهم بالتوفيق والهداية. ولا يغمض لها جفن حتى تطمئن إلى مغادرتهم لمدارسهم وفي حقائبهم كل مستلزمات المدرسة وإفطارهم اليومي.

لقد فعلت ما لم يفعله أحد قبلها، أعادت علاقة الأبناء بوالدتهم، كانت دائمًا تحدثهم عن الأم عن حبها الذي لا يوازيه حب، عن حنانها المتدفق، وعاطفتها الجياشة، في البداية كانت تدفعهم لزيارة أمهم وتشجعهم وتغريهم بالهدايا والنزهات حتى يذهبوا إليها، ومع الأيام صاروا يذهبون لزيارتها طواعية ويأخذون معهم الهدايا أيضًا.

لقد تعلق الأولاد بفاطمة وأحبوها حتى إنهم لا يستطيعون فراقها، حين كانوا صغارًا كانت تأخذهم جميعًا، والآن وقد كبروا وتجاوزوا سن البلوغ صار يصعب عليها أخذهم كما يصعب أيضًا تركهم، ولما رأت شوقهم لها حين تسافر إلى أهلها في الصيف أثرت البقاء معهم وقضاء الإجازة بقربهم واكتفت بيومين تسلم فيهما على والدتها ثم تعود.

لقد بكت حين دخل سيف الابن الكبير المستشفى لاستئصال الزائدة كما لم تبك أم قبل حتى إن الطبيب سألها إن كان لها أبناء آخرون أم لا؟! وحين خرج لازمت فراشه واعتنت به حتى عادت إليه عافيته واسترد صحته. هي تستقبل الأبناء وصديقات البنات خير استقبال، تعد لهم المعجنات والحلويات والعصائر الطبيعية، وتتضايق كثيرًا حين يأتي سيف ببعض الأطعمة الجاهزة من المطاعم أو المخابز من باب المساعدة (من قال: إني أريدكم تساعدوني، سعادتي في خدمتكم وخدمة ضيوفكم).

إنني وأنا أراها الآن تجهز (رحاب) وتهيئها لزوجها تكابد الأمرين فهي كل يوم في سوق أو مشغل تبحث عن الأجود والأفضل، ترسم معها الموديلات وتختار

الأقمشة وتنتقي الحقائب والأحذية، قلقة، مضطربة وفي نفس الوقت فرحة ومبتهجة. أراها هكذا وأتساءل في نفسي: ماذا لو كان هؤلاء هم أبناؤها، ماذا عساها فاعلة؟

سبحان الله له في خلقه شؤون: حرمها من الإنجاب ومن عليها بهؤلاء الأبناء الذين حرمهم من عطف الأم وحنانها وأبدلهم أمًا أخرى أفاضت عليهم من حبها وعطفها، اليوم أغمض جفني لأرتاح لأن ابني إسماعيل وجد زوجة وأمًا فاضلة(*).

«أم زوجك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

ضياع أسرتين

قبل أعوام وفي شهر رمضان الكريم وفي آخر ليالي الشهر الكريم. ليالي العتق من النار وكما هي عادة كثير من الشباب المغرورين بشبابهم وحيويتهم أخذ ناصر زوجته وأطفاله إلى السوق لشراء مستلزمات العيد السعيد فلقد اقترب عيد الفطر المبارك واعتاد ناصر أن يكون بقرب أسرته التي هي مصدر سعادته فلقد رزقه الله بزوجة صالحة وأطفال كأزهار الربيع وناصر ابن وحيد إحدى الأسر الثرية التي أنعم الله عليها بوفرة المال، انطلق ناصر بسيارته الفارهة الجديدة إلى أحد المراكز التجارية الكبيرة والتي اعتاد التردد عليها بأسرته أو بدونها لغرض التبضع ومشاهدة الماركات العالمية ذات الشهرة الكبيرة التي اعتاد أبناء الطبقة الغنية اقتناءها والبحث عن الصيد الثمين من جميلات الأسواق ومروجي الفاحشة والليالي الحمراء وبائعي الأعراض والعياذ بالله.

للأسف الشديد ناصر لم يكن الشاب الملتزم بتعاليم الدين ولا بأبجديات الشاب المحترم بل متحرر إلى آخر درجة ولا يمانع من النظر للفتيات والتمعن بهن لعله يجد فريسة يمتطيها إلى عالم النشوة المحرمة. وبرغم من أن زوجته لم تكن قبيحة بل بالعكس فلديها من الجمال ما يبهر عيون الآخرين ولكن؟؟ في موعد لم يحدد ويوم غير مجرى حياة ناصر أطلق ناصر بصره على فتاة جميلة كانت متبرجة بعباءتها الضيقة الشفافة وعيونها التي وضعت كل مايمكن أن يغري شاب والملابس الفاضحة، تبادل الطرفان النظرات الطويلة فلقد وجدت الفتاة صيدها الثمين الشاب ذو المال الوفير والسيارة الفارهة والحيوية وهو وجد الفتاة التي يتمناها كل شاب بل أن عدد الشباب الذي يتبعونها يدل على غنيمة سوف تسرق من أفواه الذئاب الجائعة. الظفر بها يعني أنه الفائز الأكبر. وجد ناصر أنه هو الأحق بهذه الفريسة الضالة وأنه يستطيع بكل ما يملك أن يجعلها

تسحر به ماهي إلا لحظات من الغفلة ولحظة بعيدًا عن عين زوجته؟؟ حصل ناصر على رقم الفتاة بعد أن دفع قيمة القهوة عنها وظننت أنه الكريم الذي تبحث عنه وهي التي كانت تنتظره بفارغ الصبر أن يعطيها رقم الاتصال لم تكن تعلم ماذا كتب الله لها من دمار في هذه اللحظة فسوف تعاتب نفسها على اللحظة التي أعطت فيها ناصر الرقم أو فكرت بارتياد الأسواق لفتنة الشباب ولتشبع غرورها وتقنع من معها من الفتيات أنها أجمل ما في السوق من غنيمة دنيئة يترفع عنها البائع الشريف من المخاطبة. ناصر لم يكن بحاجة إلى هذي الفتاة من الناحية الجنسية بل كان يريد فتاة نفسيًا ومجارات ما يسمع بهم عن بعض رجال المال إلا ما رحم الله ويبحث عن فتاة تفعل الحرام الذي لايستطيع عمله مع زوجته بنت الأصل والفصل وبنت الناس المحترمين. بنت الناس التي أخذها بعهد من الله ورسوله وشهد الناس وفرح الجميع وعاهدها على أن يكون لها الزوج العفيف. ناصر كان يريد من ترافقه إلى الشاليهات للرقص وشرب المسكر والعياذ بالله... يريد فتاة تعمل كل حرام مقابل المال دون علم أحد.

والفتاة كانت بحاجة إلى شاب يوفر لها المال وأن تركب السيارات الفارهة التي كانت ترى غيرها من الفتيات تركبنها مع السائق. باعت شرفها من أجل متعة زائفة. وفي ليلة دارة كؤوس الخمر وحضر الشيطان بكل عتاده وقوته ووكلاء الشياطين واقع ناصر هذه الفتاة الرخيصة التي التقطها من سوق النخاسة وأبدلها عن زوجته الطاهرة. في لحظة صفق لها الشيطان بل حاول أن يزيد الإثم وأن يجمع كل إثم في تلك الليلة وقع ناصر بالرذيلة مع الفتاة واستمر الشيطان يشجعهما على الإثم والمنكر ويزين لهما أفعالهما أنهما أحرار بما يعملون وأن هذا حرية شخصية. أن الفتاة تملك جسدها وهي حرة بأن تبيعه أو تهديه لمن تشاء مادام أن الثمن مدفوع... تكرر اللقاء بينهما مرارًا وتكرارًا.

وتشاء قدرة المولى – عَزَّ وَجَلَّ – أن تحمل الفتاة من ناصر ويحاول ناصر جاهدًا أن تجهض الفتاة مهما كلف ذلك من مال فالمال لدى ناصر ليس بمشكلة بل أسهل شيء لديه. مرت الأيام مسرعة وعلامة الحمل بدأت تظهر واضحة. احتار ناصر ماذا يعمل؟ فقرر أن يدخل هذا الفتاة في إحدى المستشفيات على أنها زوجته.. الله أكبر! ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ الآية.. تدخل الفتاة ويدفع مبلغًا كبيرًا للمستشفى، وبالاتفاق مع إحدى الطبيبات تم إجهاض الفتاة على أنها زوجته وأنها تعاني من مرض بالقلب ولا تستطيع الحمل.

وبالفعل تم التنسيق مع خالة الفتاة الفاجرة على أنها سوف تذهب إليها في مدينة أخرى. أدخلت الفتاة المستشفى تحت الاسم المستعار وتمت عملية الإجهاض. أصبحت الفتاة تعاني بعد خروجها من غرفة العمليات الآلام التي لم تتوقعها عندما فكرت في الزنا.

حاولت الطبيبة جاهدة تخفيف الآلام رغم أن الطبيبة تؤكد أنها لا تعاني من شيء عضوي وقد أعطتها مخدرًا ينوم فيلًا ولا يزال الألم يشتد ولا يستطيع ناصر إخراج الفتاة من المستشفى. وخالة الفتاة تتصل كل ساعة لأن أم الفتاة تتصل عليها تريد محادثة ابنتها للاطمئنان عليها. ولم يكن أمام ناصر إلا دفع المزيد من المال لخالة الفتاة لكي تتصرف. مر أسبوع وخفت آلام الفتاة وأخرجت من المستشفى.

تنفس ناصر الصعداء بعد أن أودع الفتاة بيت خالتها وأعطاها مبلغًا كبيرًا جدًا. ذهبت الفتاة معتقدة أنها تجاوزت المحنة بسلام وأنها أفلتت من العقاب. لم يبق على عيد الأضحى المبارك وأيام الحج العظيمة سوى أيام بسيطة. تخلص ناصر من المشكلة وعادت الأمور إلى مجراها وقد تم تحديد موعد مسبق بينه وبين الفتاة على أن يعود إلى ما كانوا عليه بعد أن تهدأ الأمور وتعود الفتاة من فترة النقاهة. ولم يحرك الذنب والجرم

الكبير الذي اقترفه ناصر ولم يجعله يتفكر بعاقبة الأمور ولم يرجع إلى الله مستغفرًا طالبًا التوبة حامدًا الله على ستره ولم يفكر بأطفاله وزوجته وأخواته بل بيَّت النية على أن يكرر ما فعله مع فتاة أخرى.

كان يعتقد ناصر المسكين أن الموضوع انتهى دون محاسبة أو جزاء على فعلته الفاضحة وأنه فر من العقاب والجزاء على فعلته. ولكن نامت عيون البشر ولم تنم عين المولى عَزَّ وَجَلَّ، وكان ناصر على موعد مع العقاب الإلهي وجزاء قتل الجنين وذنب الزنا وشرب الخمر والتفريط، كان ناصر يعشق أبناءه عشقه للحياة ويرى النور والأمل في عيون أطفاله. قدَّر الله أن يذهب ناصر إلى البحر ثالث أيام عيد الأضحى المبارك للاستجمام ورغم برودة الطقس إلا أن أبناءه أصروا على والدهم أن يأخذهم بجولة إلى البحر ويركب ناصر وأطفاله القارب ويودع ناصر زوجته وتودع الزوجة أطفالها وتوصيهم أن يأخذوا حذرهم من البحر أبحرت السفينة في عرض البحر وهي ترفع هامتها متحدية أمواج البحر تنطلق إلى حيث؟؟؟ بعد ساعة وبعد أن ابتعد القارب عن الشاطى يأتي أمر الله أن يصاب ناصر بنوبة قلبية حاده شلت أطرافه عن الحركة.. حاول الاتصال من هاتفه المحمول إلا أنه سقط من يده في البحر. رغم أن صحته ممتازة ولم يكن يعاني من أي مرض.

حضن ناصر أطفاله وأخذ ينادي ويدعو الله أن يحمي أبنائه من خطر البحر ولكن لم يكن ناصر مع الله في الرخاء ليكن الله معه في الضيق وشدة الكرب. وتشتد الآلام وناصر يصارع الموت وأطفاله يبكون في عرض البحر يتوسلون إليه أن يقوم من على سطح القارب فلقد أسرهم الخوف من شكل أبيهم وما هي إلا لحظات حتى فارق الحياة واشتد صراخ الأطفال وهم يحضنون أباهم الجثة الهامدة. جاء انتقام الجبار سريعًا لمقتل الطفل.

ويظل الأطفال وجثة والدهم في وسط البحر والشمس تغرب معلنه نهاية ثالث أيام العيد والأم المسكينة أصبحت في قلق كبير جدًا تتصل على هاتف زوجها ولكن كان الهاتف النقال مغلق فلقد سقط الهاتف في البحر ولك أن تتصور منظر الأطفال وهم يبكون على أبيهم في وسط البحر في جو شديد البرودة... اتصلت الزوجة بوالد زوجها وأخبرته بالموضوع قام الوالد بالاتصال بمركز سلاح الحدود الذين هبوا لنجدة الأطفال وتصل الأخبار إلى الزوجة أنه تم العثور على الأطفال بحالة إعياء شديدة ولكن ليست بالخطيرة وأخذت تتسائل عن زوجها... لم يكن هناك شجاع لإخبارها بوفاة زوجها.

نقل الجميع إلى المستشفى الذي تم إدخال الفتاة فيه لإجراء عملية الإجهاض وتمت المحاولات لإنقاذ الزوج ولكن شاء الله أن يتوفى الزوج منذ اللحظات الأولى. والأطفال تم إدخالهم المستشفى لتلقي العناية الطبية. وتشاء الأقدار أن تكون المفاجأة الثانية للزوجة لقد تم استرجاع جزء من المبلغ الذي أودعه ناصر في حساب زوجته من أجل عملية الإجهاض إلى حساب الأسرة في المستشفى. غادر الأطفال المستشفى وبقدر من العلي القدير تذهب الزوجة إلى المحاسبة من أجل إنهاء إجراءت خروج الأطفال وزوجها بأسرع وقت. فوالد زوجها حالته الصحية وهول المصيبة في ابنه الوحيد جعلته عاجز عن الحركة.

تذهب الزوجة المكلومة في زوجها. ووفاء بزوجها الذي أحبته وصانته. وإكرامًا له من أجل إنهاء إجراءت الدفن ذهبت للمحاسبة وهناك تفاجئت الزوجة بأن المحاسب يسألها ما صلتها بالمتوفى وهل أنت زوجته ردت بالإيجاب. قال لها المحاسب: أنه يوجد مبلغ كان زوجها أودعه أثناء عملية الإجهاض الأخيرة قبل أسبوعين؟؟.

لم تفهم الزوجة المقصود من الكلام ولكن أكدت أنها لم تدخل المستشفى لإجراء عملية إجهاض.. كرر المحاسب أنه يوجد مبلغ مرتجع في الحساب. أصرت الزوجة معرفة تفاصيل الموضوع ومصدر المبلغ. تم الاتصال بالمدير الطبي الذي أخبرها أن مصدر المبلغ عاد من تأمين عملية الإجهاض التي أجرتها هي قبل ثلاث أسابيع.

لم تصدق الزوجة المكلومة في وفاة زوجها حاولت جاهدة وأكدت لهم أنه يوجد خطأ ما في الموضوع ولكن دون فائدة ولم تصدق المسكينة إلا عندما شاهدت توقيع زوجها وتوقيع من قال إنها زوجته، بكت الزوجة بشدة وانهارت من شدة هول المصيبة فهي مفجوعة بزوجها وخيانته لها كيف؟ ولماذا؟ يخونني مع ساقطة ويهين كرامتي بساقطة ليعمل لها عملية إجهاض باسمي.. لم تصدق المسكينة ولكن كل سؤال تريد الإجابة عليه هو في القبر مع من كان زوجها، لملمت الزوجة الحزينة جراحها لتعود إلى منزل والدها مع أطفالها الحزينين على فراق والدهم.والزوجة مصدومة من خيانة زوجها وارتكابه جريمة الزنا ومات على معصية ليقابل الله بذنبه أي مصيبة كانت تنتظر هذه الأسرة التي كانت هذه الفتاة سبب في دمارها أما الفتاة فلقد علمت بالخبر من الجرائد بوفاة حبيبها الغني الميسور وأنها سوف تفقد مصدر المال، حزن جميع المستفيدين من ناصر.

وليس لناصر بل لأنهم فقدوا النهر المتدفق بالمال. وبعد أسبوع يشاء المولى عَزَّ وَجَلَّ أن تصاب الفتاة بالتهاب حاد جدًا.. نقلت الفتاة إلى إحدى المجمعات الطبية وتسارعت وتيرة الأحداث توقفت الكليتان لديها... دخلت في غيبوبة.. أجرى الأطباء الفحوصات والتحاليل المعقدة لمعرفة سبب توقف الكليتين لفتاة تبلغ العمر ٢١ ربيعًا؟؟ وجاءت الفاجعة للجميع أن الفتاة أصيبت بجرثومة في الدم من خلال محاولة إدخال أداة حادة لفتح الرحم من أجل محاولة الإجهاض لطفل. استغربت الأم طفل..

إجهاض.. محاولة. لم تفهم الأم المسكينة ما يقول الطبيب ولكن الخالة تعرف تمامًا ماذا يقول الطبيب كيف لا وهي من عايشت الموضوع لحظة بلحظة وكسبت من هذه الفتاة المسكينة مبالغ كبيرة.

أوضح الطبيب المعالج الموضوع للأم وأن ابنتها قبل ثلاثة أشهر تقريبًا تم إجراء عملية إجهاض لها وتسبب في تسمم في الدم مع توقف الكليتين وتوابعها. لم تصدق الأم الفاجعة وكانت تقول: إن التشخيص خطأ وسوف أنتظر أن تفيق البنت وسوف أسألها لأنني أعرف ابنتي لم تكن تتحدث بالهاتف ولم تكن تخرج لوحدها بل كانت دائمًا تخرج مع بنات خالتها فقط؟؟ نقلت الفتاة بأمر من مسئول كبير كانت الخالة لها علاقة سابقة معه إلى إحدى المستشفيات المرموقة وتم عمل المستحيل لها لإنقاذ الفتاة والغريب والله الذي رفع السموات بدون عمد لقد أصبحت الفتاة سوداء اللون برغم شدة بياضها مع رائحة نتنة، استغرب لها الأطباء حاول الأطباء البحث عن الرائحة ولكن دون جدوى حتى إن غرفة العناية المركزة كانت ذات رائحة كريهة.

بعد شهرين عادت الفتاة إلى وعيها وتسترد عافيتها والفتاة منذ أن شاهدت والدتها تقرأ عليها وهي في بكاء شديد وتحضن أمها وتطلب أن تسامحها وأن تستغفر لها الله، لم تفهم الأم المسكينة السبب لهذه الدموع ولكن حسن الظن كان في مخيلة أمها. مرت الأيام والأم تنظر إلى ابنتها وتتذكر كلام الطبيب والحمل والإجهاض. تماسكت الأم المسكينة وأخذت تستفسر عن المرض الغريب وتأكد أن الأطباء المجانين يتهمونها أنها حامل وأجهضت.. لم يكن أمام الفتاة فرصة للكذب أخبرتها أن الأمر صحيح وأن كل ذلك تم بمعرفة خالتها التي كانت تكذب على الأم وتستغل ثقة أمها لها. وكانت تساعد الفتاة على الخروج مع ذلك الرجل بالأسبوع وتنام عنده وهو يدفع المبالغ الكبيرة.

صعقت الأم من كلام الفتاة فليس المصيبة الآن البنت بل والأخت أيضًا، لم تستطع الأم التماسك عندما سمعت القصة ولم تصدق أن الفتاة التي كانت أغلى بناتها وتحلم ليلًا ونهارًا بزواجها وسترها بعدما هجرها أبوهم وكانت الفتاة مخطوبة لأحد الشباب وأن عقد القران سوف يتم خلال الشهر القادم.. إنها ليست ابنتها.. إنها ليست البنت التي كانت تضعها بحضنها.. إنها ليست ابنتي الطاهرة العذرية الشريفة، إنها زانية فاجرة.. نعم زانية وحامل وجاهض.. لحظات وأغمي على الأم المسكينة من هول المصيبة لتخرج من المستشفى بشلل نصفي مع عدم القدرة على النطق بل دموع لا أحد يستطيع فهمها إلا ابنتها وأختها وحسبنا الله ونعم الوكيل.. هذا جزاء الأم التي أضاعت شبابها ترعى زرعها لتأتي أختها لتضيع كل المجهود والتعب ولتعيش البنت في دوامة وخوف ومستقبل مظلم.

مزقت الأم بيدها الضعيفة فستان الخطوبة التي كانت تحلم أن تراه على ابنتها وتفضح الأمر وهرب الخطيب وياليت الأمر توقف على ذلك بل أن أخواتها حتى بعد مرور هذا الزمن لم تتزوج منهم إلا واحدة وطلقت حينما شاهد زوجها فيلم لسهرة فوجد أخت زوجته معهم، والابن الوحيد الذي كان يسمع بقصة أخته في المدرسة هرب من المدرسة ورافق رفقاء السوء الذين مهدوا له الطريق إلى الإدمان ثم إلى السجن ليقضي خمس سنوات وهو ابن الثامنة عشر.

ضاعت أسرتان، فقدت الأسرة الأب الحنون والعطوف، أصبح الأطفال أيتامًا، أصبحت زوجة كانت سعيدة أرمله محطمة تتجرع خيانة زوجها بدل أن تترحم عليه، فقدت الفتاة عفتها وطهرها وعذريتها، أصيبت أم بالجلطة الدماغية والشلل، تفرقت الأخوات، فقد شاب أحلامه مع فتاة خطبها وكانوا ينتظرون تخرجه، سجن شاب صغير في السن لم تسعفه خبرته البسيطة على تحمل الفضيحة. حرموا فتيات من الزواج

بسبب الفضيحة، طلقت فتاة بدون ذنب بل بذنب أختها. السؤال: لماذا كل هذا وما هو الدافع من أجل كل هذا الدمار والضياع لماذا؟.

سؤال نطرحه على كل من تسول لها نفسها العبث مع الشباب؟ سؤال نطرحه على كل شاب مغرور بشبابه؟ سؤال نطرحه على كل من أمن العقاب في الدنيا وغابت عنه عين السلطة؟ سؤال إلى كل من توسوس لها نفسها الذهاب إلى الأسواق وقد قادها الشيطان إلى مهالك الناس؟ سؤال إلى كل من رأى أن العلاقات الغرامية تجلب السعادة؟ سؤال إلى كل من رأى أن العلاقات الجنسية تصرفات فردية لا يحق لأحد التدخل فيها؟ سؤال إلى كل من خان زوجته: هل تريد نهايتك ونهاية أسرتك بهذه الطريقة الفظيعة؟ سؤال إلى من وجد أن العلاقة الغرامية مصدر السعادة؟ سؤال وسؤال وسؤال؟(*).

❁❁❁

(*) موقع «القصص الواقعية».

obeikandl.com

الخوف من سوء العاقبة!!

تزوجت عن رضا وقناعة، زوجي رجل كريم طيب الخلق، كنت حينها كأي فتاة أحلم أحلامًا وردية مخملية، الحياة في نظري فرحة وفسحة، ليس هناك في مخي الصغير شيء خلف هذه الصورة، تحت جناح زوجي درست في الجامعة وتأثرت بصويحبات لي صالحات خلوقات متدينات أحسبهن كذلك ولا أزكي على الله أحدًا بدأت أستشعر معنى الحياة وحقيقتها وأدركت أن هناك هدفًا أسمى نحيا لأجله، بدأت صعود سلم الحقيقة وارتويت من معين لا ينضب وقرأت سيرة المصطفى ﷺ وبكيت بشدة لجهلي التام بها وتقصيري في ديني.

أخذت حياتي منحىً آخر، وبدأت فعلًا أحس بمسئوليتي.. بيتي هو أول شيء يحتاج إلى الإصلاح.. أثاثه راقٍ وأرضيته رخامية لكنه قائم على قواعد هشة.. بدأت في ترتيب أوراقي وتنظيم أولوياتي... فكانت أول مواجهة لي مع زوجي.. أول اختبار لإيماني وعلمي... أول حجر في طريقي.. زوجي طيب معي لم يعنفني يومًا ولم يمنعني من زيارة صديقاتي واستقبالهن في بيتي... ترك لي الخيار في إسدال خماري على النحو الشرعي، نزل عند رغبتي في التقليل من النزول إلى الأسواق وترك السفريات للخارج، حيث كان هذا ديدننا دائمًا في كل إجازة، لا تقولوا كل الرجال يرغبون في ذلك، لا، لقد كان زوجي مختلفًا عنهم إنه يحب السمر والسهر والسفر، الرجال يسهرون مع أصدقائهم ويسافرون مع زملائهم أما زوجي فهو يسهر معنا في البيت أو خارجه ولا يسافر إلا ويصحبنا معه.

أنا أحب زوجي ولا أرغب في إغضابه، ولكنني أحب الله أكثر وأسعى إلى إرضائه.. لقد كانت المواجهة الأولى لأجل الصلاة... زوجي يصلي لكن يصلي في

البيت غالبًا، الفجر والعصر لا يصليها في وقتها أبدًا، الأولى حين يستيقظ للعمل يصليها والثانية حين يصحو قبيل المغرب بقليل يصلي ثم يتناول غداءه، حاولت أن أبيّن له أهمية الصلاة وفضلها وعظم أمرها عند الله وأنني أحبه وأخاف عليه من النار والعذاب إنني لا أحتمل مجرد التفكير في هذا الأمر، فنهرني: اللي يسمع كلامك يقول قاعدة مع كافر لا يصلي، أنا إذا نمت لا أدري عن أحد والنائم مرفوع عنه القلم، لكن أنا أوقظك أترك المنبه عند رأسك، أنت تسمعني لكن تستثقل إنك تقول كلمة مني وأخرى منه ثم يصرخ في وجهي خلاص لا أريد كلام زيادة.

أبكي حتى تؤلمني الدموع كيف لي أن أقيه عذاب النار وأنقذه من الهلاك إن المسئولية تتضاعف علي، لم أتركه؛ كنت بين الحين والآخر أحدثه عن الصلاة وأذكره بقصص الماضين وحرصهم على الصلاة وأنها أول ما يحاسب عنه، لم أعرف شيئًا عن الصلاة إلا قلته، ولم أر تحسنًا ولم ألحظ تغيرًا.

تخاصمنا وتجادلنا كثيرًا حول الصور المعلقة على الجدران.. صور زواجنا وصور أبنائنا وأنهى المعركة بحل جزئي.. ارفعي كل الصور ما عدا اللي في غرفة النوم والمجالس ففزت بصالة وغرفة معيشة خالية من الصور، تخاصمنا حول الدخان، حول أفلام الفيديو الماجنة، حول الكثير من المنكرات فكنت دائمًا لا أخسر خسارة تامة ولكنني أيضًا لا أحقق الفوز الساحق.

بت أخشى على نفسي من هذه المنكرات خاصة القنوات الفضائية التي لم أترك وسيلة أعرفها إلا سلكتها لأتخلص منها فعجزت، صار يتنازعني داعيان.. داعي الله وداعي الشيطان. أعيش صراعًا مريرًا يعصف بذاتي ويكاد يزلزل إيماني أيهما أغلب؟ وأيهما أتبع؟ زوجي الرابض بهدوء أمام الشاشة يقلب نظره في الفضائيات ويدعوني بعبارات لطيفة لمشاركته الجلوس والشاي؟ أم الله سبحانه الذي أمرني بغض البصر ونهاني عن سماع الخنا والغناء وأعنف على الشيطان الأخرس؟

أجلس معه لأدعوه إلى طريق الحق...طريق النور ولكنـي أجـد ضـعفًا في نفـسي فأختلس النظر أحيانًا وأنسجم تمامًا أحيانًا أخرى، بل إنني - عفا الله عني - ألجأ إليه في فترات غياب زوجي عن البيت أفتحه واقلب نظري فيـه ثـم مـا ألبـث أن أخـرج مـن الغرفة باكية عاتبة على نفسي الأمارة.. تُرى ما هو الحل؟ هل أطلب الطلاق؟ هل هـذا حل جذري؟ إن زوجي يصلي ولكنه مقصر في الطاعة بطيء وأحيانًا عـديم الاسـتجابة للخير.. عدت إلى أوراقي ألملمها وأرتبها من جديد.. أبنائي أمـل المـستقبل المـشرق - بإذن الله - فلأوجه لهم جهدي.. أعلمهم القـرآن وسـيرة نبـيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ.. أزرع في تربيتهم البكر معاني الإسلام وقيمه وآدابه لعل الله أن يحمدني العاقبـة فـيهم ويكونـون سببًا لصلاح والدهم بعد الله سبحانه.

لقد أدركت بعد خروجي من معارك شتى شبه خـاسرة أن هنـاك لحظـة ضـعف تسيطر عليَّ أحيانًا وتمتلكني، أحس أني أسيرة في قيـدها، يائـسة مـن رحمـة الله خلالهـا، أنحدر إلى هوة المعاصي، وأميل إلى الجانب المعتم، أقصر في الطاعة وأهمل السنن وقراءة القرآن لكن سرعان ما أفر هاربة إذ أن بذرة الإيمان في قلبي التي نمـت واشـتد عودهـا تدحرها بنورها، وتبددها بذكر الله وتلاوة آياته، إن لحظة الضعف تلك تـصبح لا شيء في ظل الدعاء والاستعانة واللجوء إلى الله.. إنني كـدت أهـزمها حـين رأيـت أم عبـد الرحمن لأول مرة امرأة صالحة قصيرة الباع في العلم، تحت رجل قاسٍ تخرج مـن تحـت يديها ثلاث شبان حفظة لكتاب الله، أحدهم إمام مسجد وابنتان من خـيرة مـا رأيـت، لهم نشاط دعوي في محيط أسرتهم، إنهـا امـرأة ولا شـك تغلبـت عـلى لحظـة الـضعف واليأس وارتفعت بهمتها ولم تلق بالًا للمخزولين الذين يتزعمهم زوجها.. اللهـم كـما حمدتها العاقبة فحمدني وكن معي وأصلح زوجي وذريتي(*).

«أختكم»

(*) مجلة «الدعوة».

عاقر حبلى بالحب!!

كانت تلك السنوات السبع عشرة كافية لإقناعها بعدم وجود فائدة من الانتظار هي تريد أطفالًا وتحب زوجها، وهو لا يريد أن (يكدر خاطرها) لذا يرجئ الأمر ويؤجله. وافقته بنفس راضية إلى أن يخوض التجربة مرة ثانية عسى الله أن يكتب له الذرية فيكون لها منهم نصيب، وتزوج (إبراهيم) ثانية، كان الأمر صعبًا عليها فلم تعتد فراقه قلبت نظرها في الحياة الجديدة (إن استطعت كسب زوجته الجديدة فربما يرزقها الله الأبناء فيكونون أبناء لي أيضًا، وإن فتحت بيتي لها فزت بزوجي وأبنائه)، وفعلًا تم لها ما أرادت وبقي إبراهيم وزوجته معها.

كانت (مريم) مثالًا للزوجة الصابرة الطيبة التي تبحث عن رضا زوجها عاملت ضرتها كأخت لها، لم تسع أبدًا على إثارة المشاكل، كان حبها للأطفال يطغى على كل مشاعرها، ولقد كانت ضرتها أيضًا امرأة طيبة قدرت هذا التعامل قدره وحفظت لمريم مكانتها.

جاء الأطفال بعد فترة قصيرة، وصار أخي (إبراهيم) أبًا بعد طول انتظار وأشرق البيت بهم وملأوه حبورًا وسعادة، كانت فرحة (مريم) لا توصف كانت تهتم بالأطفال وتعتني بهم حين كبروا قليلًا كانت تجلسهم معها وتقص عليهم الحكايات (قصص الأولين) تحادثهم وتسمع منهم.

وأصبحت هي وضرتها (سمية) تتقاسمان عمل البيت والعناية بالأطفال، ولما دخل الصغار المدارس كانت تتولى القسم الأكبر من عمل البيت حتى تتمكن (سمية) من تدريس الأولاد ومراجعة دروسهم.

obeikandl.com

لم تجعل من توافه الأمور و(كلام الحريم) عاتقًا أمام سعادتها، عاشت مع ضرتها ولا تزال ثلاثين عامًا بحلوها ومرها تفرحان معًا، وتحزنان معًا ولم يفرقهما الموت، مات أخي (إبراهيم) منذ عدة أعوام رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يفترقا، عاشوا جميعًا في منزل واحد، يكابدون العيش ويواجهون مشاكل الأبناء سويًا لم يقتسموا الإرث. مع أن (سمية) وهي أم الأولاد تستأثر بنصيب كبير من النفقة إلا أن ذلك لم يكن يعني أي شيء عند (مريم) فهي ترى أن هؤلاء أيضًا أبناؤها.

لقد أخذت السنين من جهد (مريم) وصحتها وبدأت أعراض الشيخوخة تزحف نحوها، روماتيزم وسكري وضغط... فما لاقت من (سمية أم خالد) إلا كل خير وقبل ذلك الأبناء الذين راحوا يكثرون من الاهتمام بها ويولونها عناية خاصة، فهم يحرصون على مواعيدها في العيادة بشكل منتظم ويراقبون نظام الحمية الذي وصف لها ويراعون مشاعرها ألا يكفي أنهم يسمونها (أمي مريم) كانت هذه التسمية مبعث سعادتها وانتشائها.

لم تجن (مريم) هذا من غير جهد، كانت طيبة، تحب خدمة الناس، كم من مرة احتاجتها (سمية) فوجدتها بجانبها تعينها وتقف معها، رافقت إحدى البنات حين دخلت المستشفى لاستئصال الزائدة، في حين كانت (أم خالد) تهتم بالأبناء في البيت.

وفي الأيام الثلاثة التي كانت فيها أم خالد عند أهلها تستقبل المعزين في وفاة والدها، كان الأطفال الصغار عند أمهم مريم في البيت. لقد خدمتها في فترات نفاسها كما لو كانت تخدم أختها، وجلست في بيت خالد ترعى ابنه وتجهز الغداء له ولزوجته التي تم تعيينها معلمة في إحدى القرى البعيدة، فكانت لا تأتي إلى البيت إلا بعد صلاة العصر، ستة أشهر وهي على هذه الحال حتى حصل لها نقل إلى المدينة، ستة أشهر تركت فيها بيتها الذي ألفته لترعى حفيد زوجها بنفس راضية وقلب رحيم.

من مثلك (يا مريم) ضربت مثلًا رائعًا للنساء من حولك، رضيت بما كتب الله لك، وسعيت إلى إرضاء زوجك، وكسبت ود ضرتك.

ثلاثون عامًا لم نشعر فيها أنكما ضرتان (جارتان) كنتما كأختين، ندعوكما سويًا إلى ولائمنا واجتماعاتنا، لم تسببا لنا إحراجًا قط، ولم تتضايقا من وجودكما معًا، هذا كله بفضل الله تعالى، ثم بفضل قلب مريم الكبير، فهي البادئة بالإحسان أسدت المعروف لم ترد جزاء ولا شكورًا، زرعت الحب وحصدت الحب نشرت النور فبدأ الطريق أمامها واضحًا، وفقك الله وسدد على الخير خطاك وأبقاك أمًا للجميع وأخلفك خيرًا(*).

«أختك»

❀❀❀

(*) مجلة «الفرحة».

obeikandl.com

الجود بلا حدود!!

نشأت في زمن لم يكن للعلم فيه نصيب كبير، كنا نفلح الأرض ونسقيها ونعيش من ذلك، تزوجت وصار لي أبناء وبنات وأدركت أهمية العلم وأن الزمن القادم هو زمن الشهادة، فألحقت بناتي بالمدارس، بعد أن فاتني القطار، وحرصت على متابعتهن قدر استطاعتي.

مرت السنوات سراعًا ورأيت غرسي يثمر، أتمت بناتي التعليم وصرن مدارات تزوجن وأنشأن عوالم خاصة، أما أنا فكبرت ولم يعد لي قدرة على العمل، ولم أكن قد التحقت بالعمل الحكومي فصرت قعيد البيت أعيش من راتبي كمؤذن في المسجد المجاور ولي بقية من أبناء مازالوا في مراحل المدرسة المختلفة، وزوجتي (أم علي) كبرت أيضًا والروماتيزم أخمد نشاطها، فلم تعد قادرة على العمل في البيت إلا شيئًا بسيطًا.

وفي وسط هذه الظروف صرنا نحتاج خادمة تقوم بأعمال البيت الكثيرة حين يغيب الأبناء في المدرسة.. هذه الخادمة تحتاج (مصاريف) كثيرة أيضًا، تكاليف استقدام ورواتب شهرية وإقامة و... والأبناء أصلحهم الله كبروا وكثرت معهم نفقتهم، المدرسة لها حاجتها الضرورية وكذا المناسبات، الشتاء يختلف عن الصيف في الكسوة والمأكل وخلافه، وهناك ضرورات اجتماعية أدخل الناس عليها من القوانين والقواعد ما جعلها مكلفة وصعبة. في الجملة صارت الحياة قاسية ومعقدة.

في ظل هذه الظروف المرة، برزت (صفية) تنفض عنا غبار الفقر وتزيل شبح الحاجة بعد الله لم تكن خير أخواتها حالًا ولا أيسرهن عيشًا لكنها كانت ذات قلب كبير ونفس غنية. زوجها رجل طيب كريم النفس، لم يكن يسألها عن راتبها ماذا فعلت به، بيتها كبير وعندها أولاد وبحكم عملها كمعلمة كان لديها خادمة فهي تصرف من مالها في بيتها وتعين زوجها.

ومع هذا فقد أحضرت لأمها خادمة تصرف لها راتبًا شهريًا حتى تعين والدتها على البيت، وهي تشتري لها مثل ما تشتري لخادمتها لا تنتظر منا أن نفعل ذلك. ولم تكتف بهذا أبدًا، بل إنها في كل شهر تقريبًا تدس في جيبي مبلغًا محترمًا ونصفه أو زد عليه قليلًا لوالدتها لا تريد منا جزاء ولا شكورًا، بل إنها تغضب كثيرًا حين نُطري فعلها أمام أخواتها معللة ذلك بأن لكل أناس ظروفهم ثم إن عملها لا يوازي شيئًا أمام ما عملناه لها خلال دراستها: صرفتوا علي حتى تخرجت ويوم توظفت أنساكم؟.

وأفضال ابنتي علي كثيرة لا تُنسى، أسأل الله سبحانه أن يوفقها وأن يرزقها بر أبنائها، فهي لا تنسى إخوانها في المناسبات، في الأعياد تحضر لهم الأقمشة والأحذية وعند دخول الشتاء تجود عليهم بين فترة وأخرى بالملابس الشتوية الفاخرة، تفرح حين ترى الفرح يشع من عيونهم كأنها أمهم وهم بنوها الأيتام.

والبنات لا تنتهي مطالبهن فهذه (هند) طلبت مني ذات يوم مبلغًا من المال لتشتري به قميصًا حريريًا ترتديه في الكلية فلما علمت (صفية) بذلك غضبت لماذا لم تطلب منها أختها ذلك!!

وصفية – أسعدها الله – أعانتنا كثيرًا في شراء سيارة لمحمود حين تخرج من الثانوية، بل هي التي اشترتها بأقساط شهرية أخذت تسددها رافضة منا أي مساعدة. إنها حين ترى شيئًا من الأثاث بلي أو جزءًا في البيت يحتاج إلى إصلاح تبادر بعمل اللازم دون أن نطلب منها ذلك، وهي دائمًا تكمل لوازم البيت وتتفقد حاجاته كواحدة تعيش دومًا فيه حتى الضروريات كان لها فيها مساهمة.

صفية ليست ككل البنات. متواضعة في لباسها غير متكلفة لا تحب البهرجة ولا المظاهر لها ولا لبناتها وأبنائها، يكفيها اليسير ولم يغيرها المال لذا فقد بارك الله في راتبها كثيرًا عكس بعض أخواتها كأنهن ولدن في الأسواق مضيعات لبيوتهن، مبذرات

لأموالهن، صفية تنفق وتنفق وفي آخر الشهر تجد ما توفره وتدخره للأيام وغيرها يصرف ويصرف حتى إذا جاء آخر الشهر لم يبق في جيبه قرشًا واحدًا ثم يتساءل (أين ذهب المال؟!).

هي بسيطة لنفسها فقط أما حين تجود فهي لا تعرف إلا الغالي والنفيس، بارك الله لك يا ابنتي في مالك وفي زوجك وفي أبنائك وجعل عملك رفعًا لدرجاتك في الدنيا والآخرة(*).

«أبيك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

أنين مطلقة

الليل الآن يزحف على الكون.. يجر الظلام ليطبق على الدنيا، وأنا بدوري أسدلت ستائر غرفتي الداكنة لحجب الضوء المتسلل من الخارج حتى لا يخترق أحاسيسي ويفسد علي خلوتي. أقفلت الباب وأغلقت الأنوار وأسندت ظهري إلى السرير، ولذت بالصمت وتركت الحديث للدموع، أطلقتها بعد أن كانت حبيسة في مآقيها، الآن حانت لك أن تنفجري كالبركان قوية مدمرة لتزيلي في طريقك كل هموم القلب وحسراته ولتخرجي كل زفرة منعتها العيون المتطفلة من الانطلاق، أحرقي كل من يقف في وجهك، دمري كل من يحاربك ثم تفجري عيونًا وينابيع لتغسلي كل ما علق بساحة المعركة القلبية من بقايا الدماء والأشلاء.

ضعيفة أنت أيتها الدموع، لا تقوين على كل هذا لكنه الحلم الذي يحلق بخيالي بعيدًا. أنت أيتها الدموع ملاذي بعد الله سبحانه أفرح فتنطلقين كالماء الزلال يسقي ظمأ العطشى، وأبكي فتنزلين كحبات المطر تغسل وجه الأرض لتكسب العشب الأخضر نضارة كالمرآة.

وماذا بعد؟ لا شيء سوى الظلمة والوحدة والصمت والدموع أسلي بها نفسي!! عجبًا وهل نتسلى بهذه العذابات؟! حين نجد أن الظلمة تغشانا لتحجبنا عن العيون النهمة والنظرات السامة، والوحدة تبعدنا عن مواجهة من يحاربوننا والصمت يريحنا من الوقوف للإجابة على التساؤلات المكررة المقيتة التي لا نحصد منها سوى المزيد من علامات الاستفهام، هنا فقط تكون العذابات تسلية والدموع سلوى المعذبين ومنافذ التنفيس للمكروبين.

الليل فقط هو الذي أحبه، أنتظره بتلهف، الليل المظلم يلفني بظلمته، فلا يراني أحد، فتظهر نفسي على حقيقتها، ضعيفة مجروحة، مكدودة، أبكي بحرقة وألم ولكن

بصمت حتى لا تشعر الجدران بضعفي، أبكي حالًا وضعت بها وليس لي ذنب ألبته، أمر قد كتب علي، ولو كان السبب فيه رجلًا لقتلته، لا تلوموني، فتشت في نواحي حياتي، قلبت أموري، راجعت حساباتي، لم أجد شيئًا أتعلق به، إنه فقط قدر مكتوب لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. الطلاق وقع يوم استحال الوفاق، ثلاث تجارب زواج فشلت، تعلمت منها الكثير، أزواج يرفلون في نعمة وعافية وبنين!! وأنا أتعذب كل يوم تحت مطارق الألسنة الحادة، أحترق تحت النظرات القاسية وأتضاءل أمام نجاح الأخريات.

لذا أكره النهار والنور والضوء لأنني يجب أن أتقمص تحت ألف دور ودور، يجب ألا أتزحزح عن قراري، ألا أظهر الندم، ألا أبحث عن المبررات، في النور يجب أن ألبس لبوس السعادة والراحة، ليس لي الحق في البوح بمشاعري، يجب أن أحبس دموعي ويجب أن أظل قوية راسية، وأن أجيب عن كل سؤال يطرح وإلا فالعيب في وحدي والتقصير لابد مني كان يجب علي أن أصبر، أن أعيش في الجحيم، أن أتذوق العلقم والصبر، أن أرزح تحت نيران الذل والقهر، كان يجب أن أعيش بلا عاطفة، ألا أعبأ بما يختلج في قلبي، كان يجب أن أعيش ولا أعيش في ذات الوقت، إذ ليس المهم أن أشعر بلذة العيش ولا بطعم الحياة. المهم أن أعيش وكفى كالميت بين يدي الغاسل ومع هذا كله لم أنل ما أريد وفزت بورقة الطلاق.

آه أيها الآخرون كم أنتم قساة، تحكمون علي فقط وتودعونني سجن الحياة، تجعلوني خلف قضبان التعاسة وتحملوني كامل المسئولية، والرجل النصف الآخر ربما كان المجرم الحقيقي يتنسم هو الحرية ويعيش طليقًا بين الأفنان يستمتع بحياته ويتلذذ بعيشه ليس عليه حرج ولا إثم.

الأزواج كدوائر قطعت نصفين وبعثرت. كل نصف لا يلتحم إلا بالنصف الذي انشق عنه. وبهذا تكتمل الدائرة، فهل تستطيع أن تجمع نصفين لم يكن في الأصل دائرة

واحدة بالتأكيد لا، وكذا طرفا المغناطيس اللذان يتنافران هل تقدر على جذبهما لبعضهما بالقوة أو باللين؟ أيضًا لا. هل تظن الخطأ في أحد الطرفين أم توقن أنها من صنع الله؟ وكذا الأزواج. فما زلت نصفًا مهملًا يبحث عن نصفه الضائع فلماذا لا تساعدونني في البحث أو تتركوني وشأني لا تذيبوا قلبي بحرارة أسئلتكم ولا تشنقوا بصيص الأمل لحكاياتكم العقيمة وعروضكم المزرية، رجل رجله في القبر، وآخر هارب من لظى الزوجات والأبناء، وثالث طامع في المال يظنني الموظف وهو البنك، وآخر عقيم.

دعوني أفكر ألف مرة قبل أن أكشف عن ساقي وأخوض في بحر لجي آخر، هل الزواج رحلة صيد أو سباحة، إنه المستقبل والحياة الجديدة، إنني أبذل من وقتي وعقلي وروحي وعواطفي ومن كل خلية في جسدي إزاء ما حدث في الماضي فلم يعد هناك المزيد من القدرة على البذل... ارحموني وكل واحدة تجعل نفسها مكاني لا أراها الله ما رأيت ثم تحكم بما ترى.

مللت تشريحي تحت المجهر وجعلي عينة للزراعة، إنني قبل كل شيء امرأة خلقت من ضلع أعوج، وكسري طلاقي فلا تزيدوا الضغط علي واتركوني حتى يجبر كسري وتلتئم جروحي ولا تحملوني ما لا طاقة لي به(*).

«أختكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandi.com

كوني فوق القمة..

ابنتي الحبيبة:

أريد أن أحدثك حديثًا لا تنقصه الصراحة فافتحي قلبك وعقلك لي، وأدركي أنني إنما أهيئك للمستقبل، لحياة وجدتها غدَّارة خدَّاعة لا تعرفين بأي الوجوه تقابلك، أنت تنشئين في بيت وتغادرين إلى بيت آخر مختلف عنه، أنت الآن في رغد العيش ورفاهية الحياة مترفة مدللة كأنك تلك الفتاة المرفهة النائمة التي تنتظر من يوقظها ويتزوجها فلا تتمادي في أحلامك فلن تحظفك مرفّه أو غني، بل ستتزوجين إن شاء الله رجلًا من مستواك ومن مجتمعنا يعرف قيمة الحياة ومعنى المسئولية وينتظر منك أنت ذلك!!.

فلماذا يا ابنتي الغالية ترهقينني بطلباتك.. نحن الآن في فصل الشتاء وأنت تريدين المزيد من القمصان والبلوزات الشتوية للمدرسة، وخزانتك مليئة بالكثير والجديد فلماذا لا تكتفين بما عندك أم أنه لا يصح أن ترتدي هذا العام ملابس العام الماضي؟ حقائبك ملأت الرفوف يعلوها الغبار بعضها استخدم مرتين وبعضها صار قديمًا.. متى تعرفين للمال قيمته وأنه ليس كل ما تشتهين تشترينه؟ أعلم أنك تحبين الجمال وترغبين في أن تكوني مميزة بين صديقاتك وأن يظهر عليك أثر النعمة والترف، ولكن هذا كله له حدود، والله سبحانه فوقنا يحاسبنا، الإكسسوارات تكلفك الكثير من المال وكذا الأحذية والأحزمة ولوازم المدرسة وملابسك وتوابعها فلماذا لا ترضين إلا بالغالي والنفيس مع أن في الأقل سعرًا جودة لا تقل عنه.

ابنتي.. حبة قلبي ومهجة فؤادي، نحن حقًا لدينا خادمة وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر، ولكن الخادمة لها دور كبير لا يخفى عليك ويجب ألا يلغي دورها دورك أنت، أشعريني أنني ربيت فأحسنت، أنا لا أطلب منك أن تغسلي الصحون أو

تكنسي الأحواش ولكن فقط رتِّبي غرفتك، اهتمي بوضع كل شيء فيها مكانه، غرفتك مملكتك الصغيرة، نظامها يعكس شخصيتك، المفروض منك أن ترفضي دخول الخادمة إليها، لا أن تناديها وهي غارقة في عملها لتطلبي منها أن تبحث لك عن تنورتك أو تكنس غرفتك، ربما هذه هي المهمة الوحيدة المنوطة بك في هذا البيت فلماذا لا تجعلين منها درسًا لك في تنظيم مملكتك الكبيرة في المستقبل؟!.

مع الأسف أدواتك مبعثرة، ملابسك تئن تحت قدميك، الجديد غارق مع القديم في سلة الغسيل، والخادمة تغسل ما يقع تحت يديها دون تمييز فيتلف الجديد ويبهت ولا يصلح حال القديم ثم تطلبين ملابس جديدة أخرى إذ صارت تلك مستهلكة كليًا.

حبيبتي: إن المجوهرات والأشياء الأخرى الثمينة خفيفة الحمل ثقيلة الثمن مغرية للخدم فلماذا لا تعبئين بها، نعود من زيارة أو حفل زواج فتخلعين أقراطك وخواتمك وباقي حليك في أي مكان تجلسين فيه إذ الوقت الآن وقت تبادل الحكايات ماذا رأيت وماذا أعجبك.. وتبقي مشترياتك في مكانها أو ربما تفقدينها ثم تقيمين الدنيا ولا تقعدينها على رأس الخادمة (أكيد هي اللي سرقتها.. لابد من طردها).

هل ما زال الوقت مناسبًا لأن أقوم أنا بجمع أغراضك ووضعها في مكانها الصحيح أو أحتفظ بأشيائك الثمينة في غرفتي، ألا تدركين أنك كبرت وصرت شابة يافعة... أنت الآن في الثلث الأخير من ربيع عمرك الثاني، في مثل سنك كنت قد أنجبت أخاك سليمان، لا أطلب منك أن تكوني نسخة مني فوقتي يختلف كثيرًا عن وقتك ولكن فقط أريني أنك كبرت وصرت أهلًا للمسئولية.

أم أنك تكبرين عشر سنوات حين تريدين زيارة صديقاتك، أو الخروج للسوق أو حين يمس الأمر حريتك الشخصية، تتضايقين حين أرافقك في زياراتك أو تسوقك تقولين إنك كبيرة، وتستطيعين القيام بهذا وحدك، ولكن أنا أمك ولن أسمح لك بفعل

هذا فإن كنت متفرغة فسأذهب معك وإن لم أستطع فليس من الضروري أن تقومي به.

أنت حرة ولك أن تفعلي ما تشائين ما لم يكن في هذه الحرية ضرر عليك أو على دينك وعفافك أو حتى ضرر علينا وعلى إخوانك، البسي ما تشائين إلا أن يكون بنطالًا أو ثيابًا ضيقة أو عارية أو خفيفة، وعباءتك ليست مجالًا للموضة والاستعراض؛ إنها مثل صلاتك تمامًا ليس لك فيها حق التغيير.

بنيتي الحبيبة هل تودين أن تكوني إمَّعة في ذيل الركب تابعة ذليلة؟ أم تحبين أن تكوني قائدة فوق القمة يتطلع إليك الجميع يرفعون رؤوسهم إليك ويقتدي بك من حولك؟ ثقي أن النعم لا تدوم وأن الدنيا دوارة أخشى أن يمر عليكم زمان قاسٍ لا تحتملون العيش فيه فتهلكوا.. اخشوشني يا ابنتي فإن النعم لا تدوم، وشمري عن ساعديك وأثلجي صدر أبويك بطبق تعدينه من يديك الغضتين، أو أريني إبداعاتك الجميلة في ترتيب غرفتك ولن أمانع أبدًا إن قمت بترتيب غرفتي أنا أيضًا فيوم المنى حين أرى بذري ينمو ويكبر ثم يثمر ثمارًا طيبة، فأريني من نفسك خيرًا(*).

«أمك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

البناء يرتفع لبنة لبنة

الزواج سنة الحياة وهو مسئولية قبل كل شيء ثم هو سكن ومودة ورحمة.

الزواج يا ابنتي ليس فساتين وحقائب ونزهات وعشاء من كل مطعم.. حين رضيت بالزواج الآن هل كنت تظنين أنك صغيرة؟، لا.. أبدًا لقد كبرت وصرت أهلًا لهذه المسئولية لكن القليل من الصبر والكثير من التنظيم وشيء من الإدراك فقط هو الذي ينقصك.

أنا عمتك وفي مقام والدتك وأرجو أن تسمعي مني حتى وإن قسوت عليك.

إنه من العيب عليك أن تحضري ملابسك وملابس زوجك التي استخدمتها خلال الأسبوع لتقوم الخادمة (خادمة أهلك طبعًا) بغسلها وكيها. هذا الأمر لا يتطلب جهدًا كبيرًا، الغسيل أمره سهل ملابس شبه نظيفة لم يلطخها الأطفال بعد لا تستغرق وقتًا حتى تنظف كان بإمكانك أن تقومي بغسلها ثم ترتبي الوقت لكيِّها ليس بالضرورة القيام بهذا دفعة واحدة، بل بالتدريج خاصة كما تقولين عن زوجك إنه يرفض أخذها للغسيل أو الكي في الخارج ولا يعلم أنك تجلبينها معك عند زيارة أهلك ولو علم لأغضبه ذلك كثيرًا.

ثم يا حبيبتي لماذا هذا التبرم والضيق من المطبخ وغسيل الصحون؟ هل تريدين أن يأكل زوجك من المطعم دائمًا أم يرضيك أن تكونا ضيفين ثقيلين على أهلك أو أهله. إن الطبخ ليس عملية شاقة ولم تعد الوجبات مرهقة في صنعها والمعلبات وبعض الأجهزة الكهربائية التي يمتلئ بها بيتك توفر عليك وقتًا كبيرًا، لا داعي للاتصال على والدتك لتطلبي منها أن ترسل لك وجبة الغداء قبل أن يأتي زوجك من العمل، ماذا

تريدين أن تعملي إذن؟ لماذا تزوجت؟ هل كان ينقصك التنزه في الأسواق؟ هل ظننت الزواج تسلية ومرحًا.

صدقيني إن هذه الفترة البسيطة التي قضيتها مع زوجك والتي لا تتجاوز خمسة أشهر هي فترة اختبار لك ومقياس لقدراتك ومهاراتك، أين الزوجة؟ أين الطاهية؟ أين المدبرة؟ أريه صناعتك، ليس لديك في البيت شيء يحتاج إلى جهد كل شيء لم يزل نظيفًا مرتبًا جديدًا، ما الجهد الذي تبذلينه في البيت حتى تجلسي للشكوى بين يدي أخواتك وخالاتك لقد تعبت كل شيء يرفض أن أفعله، يتدخل في كل شئوني، لا نريد طبخ أهلك، لا أحب أكل المطاعم، أكره غسيل المغاسل لا أعرف كيف يفعلون بالملابس في وسط هذا الصابون القذر، هذه ليست حرية، هذه قيود وأغلال.

أنت طرية لم تعرفي الحياة بعد، تتحدثين معهن وهن يشفقن عليك لكنهن لا يبحثن عن مصلحتك، إلى متى سيبقين لك؟ سيقمن بأمورك؟ سيساعدنك؟ لابد أن تعتمدي على نفسك في كل شيء، هذه حياتك، البناء الذي تشيدينه لنفسك لبنة لبنة، حياة لا تدخل فيها الخادمة التي تربيت في أحضانها.

أنت وزوجك شخصان في شقة أربع غرف ومنافعها هل تعجزين أن تنظمي وقتك؟ قولي لي ما الذي يشغلك؟ ألا تستطيعين تنظيم وقتك؟ مثلًا: اجعلي وقتًا لعمل البيت وآخر للنزهات مع زوجك هل كل فراغ في وقتك أو في وقت زوجك يجب أن تقضيه خارج البيت؟ إذن أين وقت البيت، ووقت العمل والطبخ والغسيل، والترتيب وغيرها.

ابنتي.. لقد حُرمت الأبناء وعشت معكم عمري كله.. ربيتك واعتنيت بك مع والدتك وأعلم مصلحتك مثلها تمامًا. صدقيني أن زوجك يحبك ويغار عليك، لا تسمعي عبارات الذين يقولون (لا تعوديه على كذا) فهم لا يريدون الخير لك، بل

اسمعي لزوجك وأطيعيه فهو جنتك ونارك، هو لم يخطئ حين رفض الخادمة فما زلتما في بداية حياتكما خففي الحمل والمسئولية.

فعله هذا ليس تسلطًا ولا فرض رأي، إنه يختبرك بجس نبضك كما يقولون، هل تصلحين أن تكوني زوجة صالحة ومدبرة واعية أم أنك سترسبين في أول امتحان تدخلينه؟ كنت متفوقة في الدراسة فكوني أيضًا متفوقة في الزواج وصمي أذنيك عن كلام الذين يحرضونك على زوجك وكوني له أمة يكن لك عبدًا(*).

«عمتك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

صديقتي سرقت زوجي

كتمت في قلبي وعشت مع أحزاني، تألمت كثيرًا، بكيت، فكرت بعشرة طويلة امتدت لأكثر من عشر سنوات وفكرت كيف أكتم القصة المأساوية عن أولادي.. وكيف أتصرف من دون تهور حتى لا أندم وأهدم بيتي وأخسر زوجي وأولادي.. صدقوني هذه هي المرة الأولى التي أبوح بها.. ولن أصرح باسم من كانت أعز صديقاتي، لكني أعتبرها فرصة للبوح لـ الأسرة والتنمية بعد أن فقدت الثقة بكل من حولي وعاهدت نفسي ألا أتخذ صديقة أعتبرها كنفسي، ولا أفتح بيتي لصديقة تدخله كفرد من أفراد الأسرة، وبعد طول عشرة وصداقة وخبز وملح تضرب بكل هذا عرض الحائط وتقيم علاقة مع زوجي ثم تخطفه مني وتتزوجه. بدأت الحكاية قبل أقل من عشر سنوات حيث التحقت هي بالعمل في نفس المكان الذي أعمل فيه قبلها بخمس سنوات، كنا في مكتب واحد، ساعدتها في الفترة الأولى في تأدية العمل لتجتاز فترة الاختبار وتكون جديرة بالتثبيت والحصول على علاوة، وأصبحت بالنسبة لها الأخت والصديقة المقربة جدًا تبوح لي بأسرارها وتحكي لي عن أطفالها.

وكان زوجي يأتي ليعود بي إلى البيت بعد انتهاء الدوام فتطلب أن نوصلها، وكنت أفعل بكل رحابة صدر، وعندما كان زوجي يبدي استياءه من توصيلها وتقديم الخدمات المختلفة لها كنت اتهمه بالقسوة وأشجعه على عمل الخير. ومضت سنوات أصبحنا كأسرة واحدة، وكنا نتبادل الزيارات ونترافق إلى الأسواق والنزهات، وصار أولادي الثلاثة وأولادها الثلاثة متحابين منسجمين كالإخوة تمامًا، كنت سعيدة جدًا بصداقتها وشعرت بأن الله أكرمني بأخت لم تلدها أمي بعد أن تنكَّر لي شقيقي وزوجته وقاطعاني وابتعدت أختي مع زوجها.. ولكن المفاجأة والصدمة التي أذهلتني كانت

حين اكتشفت أن صديقتي التي طلقها زوجها تزوجت زوجي سرًا، وأن قصة حب بدأت بينهما منذ ثلاث سنوات أو أكثر وأنا التي كنت أعتبرها كأختي طعنتني وكانت السبب في تعاستي، لقاءات، رسائل غرام، وصور، مكالمات هاتفية.. وما خفي كان أعظم.

كانت صدمتي كبيرة حين بدأت أعبث بالهاتف النقال لزوجي ووجدت أكثر من رسالة موجهة من هاتف صديقتي أقلها (وينك حبيبي)- (وحشتني).. وكلمات حب وغرام وأغنيات محزنة، لم أكن يومًا لأفتش بين أوراق زوجي ولا في جيوبه أو هاتفه، فالثقة بيننا كبيرة جدًا، ولم يخطر يومًا على بالي أن زوجي يمكن أن يخونني.. أعدت الهاتف النقال إلى ما كان عليه وكأن شيئًا لم يكن.. بدأت الشكوك تنهش قلبي.. لا أصدق.. هل يعقل هذا؟!.. كان عليّ أن أتحرى الحقيقة لأكتشف أن زوجي فعلًا انجرف وراءها وأصبحت صديقتي المقربة زوجة سرية له.. حاولت أن أكون أكثر من طبيعية عند الطرفين، ولكني صرت أدرك معنى النظرة والسؤال، أظهرت لامبالاة حيالها ثم تصنعت المرض.. دخلت المستشفى بحجة أنني أريد إجراء بعض الفحوصات لليلة واحدة ورفضت أن يبقى زوجي إلى جانبي حتى يكون مع الأولاد، واتصلت صديقتي لتطمئن عليّ فأكدت لها بأنني بخير واطمأن الطرفان إلى إقامتي ليوم كامل في المستشفى وإلى أن الأولاد في المدارس.. عدت إلى البيت العاشرة صباحًا لأجد زوجي وصديقتي في بيتي هي في إجازة من عملها وزوجي كذلك.

وكانت الحقيقة المرة التي أعجز عن تصديقها.. وبدا زوجي مهزومًا أمامي لا أريد أن أعريه أمام الأولاد.. لكن الصدمة الحقيقية كانت لي، اكتشفت أن العلاقة بين زوجي وصديقتي قديمة حيث اعترف لي ووضع بين يدي الرسائل والصور التي كانت ترسلها إليه، وكيف كانت تتحين فرصة غيابي لتحدثه على الهاتف وكيف كانت تشتكي له معاملة زوجها القاسية وبخله عليها وعلى أولاده، حتى أوقعته في شباكها.. قاطعت

صديقتي وحتى لا أضطر لخلق أعذار ومبررات لهذه القطيعة أمام الأولاد وأمام كل من يعلم صداقتنا قلت: إنها استقالت من عملها وسافرت بعد أن أنهت خدماتها.. ولا أكتمكم أن شرخًا كبيرًا مازال بيني وبين زوجي، ولكنني حتى لا أهدم بيتي وأضيع أولادي وهم في سن حرجة تجرعت الصدمة، ولكنني قررت ألا أثق بمخلوق في الدنيا، المفارقة العجيبة أن زوجي لم يعترض أبدًا عندما طلبت منه تطليقها فقد وافق على الفور، والغريب أيضًا أنها بعد مدة قصيرة عادت إلى زوجها(*).

❁❁❁

(*) موسوعة القصص الواقعية.

obeikandl.com

امرأة تتلون بألف وجه!

لا تعقدوا حواجبكم تعجبًا حين أقول: إن هناك امرأة تشاطرني البيت لا أعرف لها وجهًا، ولا أميز لها شبهًا؛ ذلك أنها امرأة بألف وجه!! هل أصابكم الذعر؟! إذن ماذا أقول أنا التي ربما يصيبني الضغط والسكر من جراء احتكاكي بها.

إنها حماتي أو سلفتي كما يقول البعض، زوجي وزوجها أخوان نسكن بيتًا واحدًا، معها أشعر أنني أعيش مع ألف امرأة لا واحدة، لم أستطع طوال تلك السنوات أن أسبر غورها أو أغوص في أعماقها، تتقلب على كل شكل ولون تقابل هذه بوجه وتلك بآخر وأنا بثالث تعطي الكل ما يناسب حاله.

في رمضان كنا نجهز المعجنات للإفطار حدثتها عن استعداداتنا لزواج أخي في شهر شوال وأنه سيكون حفلًا عائليًا مختصرًا وأن أهل العروس يبدون رغبة في إحياء حفل كبير في إحدى صالات الأفراح وأن أبي أرضى جميع الأطراف، فالعرس مختصر وبعد أسبوعين سيقيم والدي حفلًا كبيرًا بعد عودة العروسين من السفر، أبدت لي تشجيعًا وأن تصرفنا نعم التصرف وهو دليل الحكمة، وبعد التراويح زارتنا أخت زوجي ومعها بناتها وسألنني عن العرس فحدثتهن خبره فأبدت كل واحدة رأيها وأجمعن على (والله ما لكم حق، هذا أول إخوانك المفروض تبكرون العرس لن تكونوا خاسرين على كل حال ومتكلفين وأنت ما رأيك يا سميرة)، وفجأة أبدت سميرة رأيها قائلة: (أنا والله قلت لها كذا وقلت إن الناس بتقطع جلودكم الآن البنات مكبرين عروسهم ويوم جاء الولد تجعلونه مختصر هذه عيبه في حقكم)!!! وألجمتني المفاجأة.

سميرة تكون حكيمة عاقلة حين تكون مع نساء عاقلات وتصبح أكثر الناس حمقًا حين تصاحب المغفلات الغافلات. عند آل فلان لا تلبس بناتها إلا اللباس السابغ

الطويل لأنهم أناس صالحون إما سينكرون عليها أو ستنقص مكانتها عندهم، ولكن عند آل فلان تلبس بناتها البناطيل الضيقة الملتصقة بالجسم بل حتى فوق الركبة وبدون أكمام لأنهم أناس على قولها (ذوق ويهتمون بالموضة ويعرفونها جيدًا).

هذه العباءة للستر تلبسها عند أهلها (عباءة رأس طويلة وأكمامها سادة ليس فيها أي مخالفة) أما عند أعمامنا وأقاربنا فهي تلبس كل موديل جديد يظهر للعباءات المزركشة، الخفيفة، الفرنسية وغيرها فهي تجاريهم وتتبع هواها، وتريد في المقابل أن تسلم من عتاب إخوانها وإنكارهم عليها.

إنك لا تعرف لها وجهًا مهما حاولت التنقيب عنه، حين حضرنا زواج إحدى قريباتنا كان زواجًا باذخًا فيه طرب وموسيقى وإسراف في كل شيء، تحدثت النساء عنه كثيرًا وأبدين إعجابهن بالعروس وفستانها الذي صممته في الخارج وكذا منصة الفرح (الكوشة) وغيرها، فقالت: (هذا هو الزواج وإلا فلا،إذا جاء زواج عبير سأجعلكم تحكون فيه شهرًا، سأفعل مثلهم وأعظم) ولكن عندما صار الحديث مع جارتنا الشابة الملتزمة أم صالح والتي تربطها صداقة بأخت العروس قالت: (الله يهديهم جابوا لنا الإثم، والله ما تصدقين إني جالسة على أعصابي ضايق صدري أقول ليتني ماجيت، على الأقل قلت لهم ليتكم وزعتوا على الناس فتاوى أو أشرطة بدلًا من الأموال اللي دفعت في أكل وشرب)!!! ما رأيكم؟!!! عند أهلها تحلف بالله أنها لا تذهب للملاهي (بيوت الشياطين) هكذا تسميها، أما عند أمثالها فهي تفتخر بعدد المرات التي ذهبت فيها وبمعرفتها بكل منتزه ترفيهي جديد أنها صبغت بناتها بهذه الصبغة، فعبير تقول لي ذات يوم هذا التايور تنورته طويلة ألبسه عند أخوالي في العيد، وهذه البدلة الوردية ألبسها عند عماتي أكيد تعجبهن!.

إنني أتساءل دائمًا: كيف لا تخجل من نفسها؟ ومني؟ ومن بناتها اللاتي يرينها مع الملتزمات تدعو لهن وتطلب المزيد من الفتاوى وتسألهن عن أدق الأمور التي تشكل عليها ثم تعطيهن ظهرها وتندمج مع نساء الفضائيات والمطربين والمسلسلات حتى أعماقها!.

لو كانت تصمت ولا تبدي رأيها لكان أهون أما أن تفعل شيئًا وتتحدث بشيء يخالفه فهذا هو الذي يصيبني بالغثيان إنها حقًا امرأة متعددة الوجوه حكمتها في الحياة جاري الناس تسلم منهم(*)!.

«أخنك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

قلبي يسعكم جميعًا!!!

هي كلمة واحدة قلتها مرارًا وأكررها الآن (قلبي يسعكم جميعًا) لا تظني أن كثرة غضبك (وزعلك) ستجعلني أغير من طبائعي شيئًا، هؤلاء هم جذوري التي منها خرجت بفضل الله وأنتم الفروع التي هي امتداد لذكري.

هؤلاء أهلي برهم سبب خير لي ووصلهم قربى لي عند الله، ثم أني لم أنقصك من حقوقك شيئًا. تعلمي معهم لا يسيء لك بحال من الأحوال، كل ردود أفعالك تلك منبعها (الغيرة) غيرة حريم فقط، فافعلي ما بدا لك لست في حاجة كل مرة لأبرر لك تصرفاتي، إنني أشعر أن هذا الرخاء وسعة الرزق التي نعيش فيها هي بفضل دعواتهم إن شاء الله، حين آخذ أبناء أخواتي معي في السيارة وأشتري لهم بالونات وآيس كريم لماذا تغضبين؟ ألست أفعل نفس الشيء مع أبنائك؟ إنني أحب أن أدخل السرور في نفس هؤلاء الأطفال لتبقى في نفوسهم ذكريات حلوة عن خالهم.

وأيضًا الكبار فدخولي على والدي بهدية تجلب دعاءهما وتبهج نفسيهما أحب عندي من نزهة خلوية مع أعز الناس. وثقي أنني مهما قدمت لهما فلن أوفيهما حقهما، فلا تستكثري ما أقدم حتى لو كان عيني. ومنهجي في الحياة لن أحيد عنه، فحبي لخدمة أهلي هو سر سعادتي ورضاي وهو لا ينقص من حبك شيئًا فقلبي يسعكم جميعًا.

إن ثنائي على أختي وإعجابي بطريقتها في تربية أبنائها واهتمامها بزوجها وبيتها لا يعني أبدًا أنني (أدق عليك) كما تقولين، هو مجرد كلام وأنا لست امرأة حتى أسلك هذه الطرق. ثم أنني فقط أفتخر بأختي، ألست تفخرين بأهلك دائمًا؟!!.

وقضائي لبعض حاجات أخواتي برضاي وقناعتي كأن أشتري لها غرضًا أوصتني به أو يكون بيننا حديث هاتفي هامس وخاص كله لا يعني أنني أغيظك

وأفعل ما يضايقك، كنت هكذا قبل أن أتزوج وسأظل هكذا بإذن الله.

فلا تجعلي من نفسك خصمًا منافسًا لهم، فأنا أحبك وأكن لك كل الود، كما أني أحبهم وأودهم فلا تجعلي هذا يضايقك، ولا تلجئي نفسك للحديث عنهم بما لا يليق بك حتى تحصلي على غرض دنيوي عاجل، إنه من العيب أن تحاولي في حديثك أن تسيئي إليهم أو تشوهي صورتهم، وتذكري المواقف السلبية التي قد تصدر منهم ومن غيرهم. هم ليسوا ملائكة، ولكنهم أيضًا ليسوا شياطين، هم بشر كبقية خلق الله يخطئون ويصدر منهم ما لا يرضي، ولكن هذا لا ينفي أبدًا أنهم أهلي الذين أحبهم وأتقرب إلى الله ببرهم والإحسان إليهم.

كنت أتمنى أن تدفعيني إلى خدمة أهلي خاصة والدي وأن تكوني عونًا لي في ذلك وأن تذكريني إذا نسيت أن أجلب لهم هدية وأتصل عليهم وأسأل عن حالهم وأتفقد حاجتهم، ولكن خيبت ظني، ومع ذلك فأنا أثني عليك أمامهم وأقدم الهدايا أحيانًا باسمك وأجعل الدافع والحافز على أفعالي تلك هو أنت. هم يحبونك ويثنون عليك خيرًا فماذا تريدين بعد؟!.

هل تحبين أن يقولوا كان طيبًا فأفسدته، بارًا فعلمته العقوق، أم هل لديك استطاعة تحمل تلك الأوزار التي ستثقل كاهلي وكاهلك حين نعقهم ونقطع صلتنا بهم، ألا تريدين أن يبرك أبناؤك، إذن ساعديني على بر أهلي وصلتهم والله يوفقك ويحفظك(*).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» رواه البخاري.

(*) مجلة «الدعوة».

غبائي أفقدني زوجي

تزوجت من رجل تقدم لي عن طريق زيجات الأهل، لم أراه سوى يوم أن حضر لطلب يدي، وبعد مشاورات وافقت خاصة وأن حياتي كانت ستبدأ في واحدة من دول المهجر حيث يعيش ويعمل.

لا أنكر أنني أحببته بمرور الأيام والسنوات فمن بيت أهلي إلى بيته وفي الغربة أيضًا توثقت علاقتنا لدرجة أن البعض كان يرانا أقرب إلى الشقيقين، حياة جميلة عشناها خاصة وقد وفقني الله في عملي بمجال الدعاية والإعلان وأنجبنا طفلين. في عدن بدأت رحلة سعادة أخرى بعد انتقال زوجي للعمل بفرع الشركة فيها، وعشنا وسط أجواء رائعة حتى كان يوم التسوق الشهير بعدن تسمرت قدماي وأنا في مواجهة صديقة عمري التي خاضت تجربة زواج فاشلة أنجبت خلالها ٣ بنات وتقيم بعدن بعد انفصالها عن زوجها، تحادثنا كثيرًا وأصبحت جزءًا من حياتي الاجتماعية خاصة وقد حصلت لي على عمل في نفس الشركة التي تعمل بها لنستعيد معًا صداقة السنوات البعيدة عندما كنا لا نترك بعضنا إلا ساعات النوم.. أصبحت صديقتي محور حياتي نخرج معًا، نقضي عطلة نهاية الأسبوع معًا في رحلات للشراء والتسوق بأنحاء عدن.. وبمرور الأيام أصابني القلق خاصة أن بوادر همس ولمس بدأت تظهر بينها وبين زوجي.. الغريب أني عندما واجهت زوجي اعترف أنه تزوجها، وعندما احتدت مناقشتنا طالبته الاختيار بيني وبينها فكانت الصدمة عندما ألقى عليّ يمين الطلاق وترك البيت ليعيش معها في بيتها، لأجد نفسي وحيدة خاصة أنه غادر عدن مجددًا إلى أوروبا بصحبة زوجته الجديدة أو صديقتي القديمة التي خطفت زوجي بغباء مني ولأعيش حياة كئيبة لم يخرجني منها بعد سنوات سوى زواجي من رجل من مثل عمري قدر ظروفي وقدرت ظروفه(*).

(*) موسوعة القصص الواقعية.

ما أعظمها من زوجة

الآن وبعد عناء هذه السنين لا يحق لي أن أختم بحثي وأنهي دراستي في أمريكا دون أن أشيد بالدور العظيم الذي قامت به زوجتي خلال هذه السنوات العجاف.

إنها كانت معي على الحلوة والمرة، تشاركني الهم وتقاسمني التعب، هنا في بلاد الغرب حياة صعبة ليس فيها مكان للترفيه أو للهو البريء كل دقيقة محسوبة من وقتنا إننا نستبق الزمن لننهي هذه الفترة في زمن قياسي.. ما أمر الغربة وأقساها!!.

حين حزمنا حقائبنا قبل بضع سنوات ميمين نحو الغرب كانت أم عبد العزيز على وشك مناقشة رسالة الماجستير التي أرهقتها كثيرًا، كانت في انتظار تلك اللحظة التي ترى فيها نتاج بحثها المتواصل واعتكافها الطويل ولكنها ذهبت وتركت كل ذلك وراءها من أجلي وطلبًا لرضاي، لم تكن لتقدم شيئًا من أمور الدنيا على راحتي.

ولما وصلنا هنا إلى أمريكا أثبتت لي بحق أنها امرأة لا كالنساء، كانت تدفعني للبحث واستغلال الوقت والجدية في الحياة والعمل والدراسة، أدركت أن الحياة هنا غالية ومكلفة فكانت تقتصد قدر استطاعتها في المعيشة والنفقة، ويكفيها القليل، لم ترهقني بطلبات الأولاد، كانت تكتفي دائمًا بما عندها، ومرة واحدة في الأسبوع أو الأسبوعين أحيانًا نتصل بأهلها لتطمئن على والدتها كل هذا رحمة بي وإدراكًا لمسئولياتها كزوجة صالحة.

مهما قلت فلن أوفيها حقها، لقد عملت على عدة جبهات كانت معلمة لأولادنا حيث لا يوجد في مدينتنا مدرسة إسلامية، لم توفر لهم الكتب وتكتفي بقراءتهم لها، بل أخذت تشرح لهم وتوجههم وتنوع لهم في أساليب التدريس بكل ما نملك في بيتنا من

وسائل تعليمية من أجهزة الحاسب الآلي إلى الألعاب التعليمية إلى الطرق التطبيقية التقليدية، كما أنها جعلت لهم حلقة شبه يومية لتدريس وحفظ القرآن الكريم، ولقد أثمرت هذه الجهود امتيازات في سجل أبنائنا ولله الحمد والمنة.

وهي مع هذا العمل الدؤوب لا تخرج من بيتها إلا نادرًا ربما يمر الشهر وأكثر وهي قابعة في بيتها تشارك أبناءها العمل واللعب معًا، ترفه عنهم وتنسيهم هم الغربة وانشغال والدهم عنهم، تعمل دون كلل، وتبذل دون منٍّ أو أذى، لم تتذمر يومًا، ولم أسمع منها شكوى أعود على البيت في وقت متأخر نظرًا لظروف الدراسة والبحث فأجدها قد أخذت الأولاد إلى غرفتهم ليناموا ورتبت البيت وجهزت العشاء، تستقبلني ببشاشة كأنما أحضرت لها هدية أو جئتها ببشارة، وتتركني لأنام دون أن تحاسبني على شيء من تقصيري.

نعم اعترف أني مقصر في حقها وفي حق الأولاد، فهنا الكثير ممن يدرسون ويبحثون لكنهم لا يضغطون أنفسهم مثلي، يرون أن لديهم متسعًا من الوقت أما أنا فكلي لهفة وشوق لألثم جبين والدي وأحضن تلك الأرض الطاهرة وأقبل ثراها وأفارق ديار الغربة القاسية.

إنها تخفف عني العناء وكان الأحرى أن أخفف عنها أنا، منذ قرابة السنتين لم نغادر إلى وطننا، لم تر أمها ولا إخوانها ولا صديقاتها، لم تحضر أعيادهم ولم تشاركهم أفراحهم وأحزانهم. الأعياد هنا لها طعم ممض، مثقلة بالأسى، حتى يوم العيد كان لدي دراسة عدت إلى البيت لأمسح دموعها وأهون عليها البعد فوجدتها مع الأولاد في مرح وحبور يفجرون البالونات ويلقون النكات والطرائف ويعملون مسابقات ويكسبون الجوائز، إنها تخفي دموعها عنهم وتخبئ لوعتها حتى لا تكدر عليهم فرحتهم بالعيد، ومن يلومها حين تبكي لكن الصبر والثبات واحتساب الأجر ليس إلا.

بقي شيء واحد وهو أنه مع كل هذا الصبر والعلم والجهاد في تربية الأبناء لم تنس أم عبد العزيز أنها كانت في بلدها من خيرة الداعيات فهي هنا تشارك بعلمها ودعوتها في المؤتمرات الإسلامية والنشاطات الدعوية وتجلس للتدريس بين جاراتها وتقيم لهن المحاضرات وتنسخ لهن الأشرطة وتقف معهن في الكرب وتفصل بين المتنازعات مبتغية الأجر من الله.

أم عبد العزيز كالغيث أينما حل نفع، جزاها الله عني خيرًا وأعانني على رد الجميل لها وإيفائها حقها. وقر عيني وعينها بصلاح أبنائنا زادها الله علمًا وعملًا وبصيرة(*).

«زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

جارتي.. دخلت بيتي وقلب زوجي

وتقول فوزية والألم يعتصر قلبها: حكايتي باختصار أنني تزوجت رجلًا متوسط الحال وأنا من أسرة غنية.. فضلته على كثيرين لسمعته الطيبة وأخلاقه الحميدة وأنجبت منه بنتين وولدين هم أغلى ما أملك في الدنيا.. بدأت الحكاية حين سكنت بجوارنا امرأة في مقتبل العمر وزوجها الذي يكبرها بأكثر من عشرين سنة، علمت أنها الزوجة الثانية وأنه تزوجها من دون علم زوجته الأولى لأنه أحبها وهو ميسور الحال.. اعتبرتها بمثابة شقيقتي الصغرى، ولشدة اقتناعي بحق الجار على الجار، كنت أتقاسم معها اللقمة وأقدم لها من ملابسي ما يعجبها، وأعلمها الطبخ وأقدم لها النصيحة كلما اعترضتها مشكلة، وكانت تتردد عليّ كثيرًا وتعرف كل شيء عن بيتي وحياتي بحكم الجوار، وبعد مدة علمنا أنها طلقت من زوجها، وبدأ زوجي يشفق عليها ويطلب مني ألا أتخلى عنها، ولم ألاحظ يومًا أي نظرة إعجاب بينهما إلى أن جاء اليوم الذي اضطررت فيه السفر إلى دولة مجاورة لأكون إلى جانب شقيقتي التي تضع مولودها الأول، وتركت الأولاد مع والدهم والخادمة.. عدت بعد أسبوع حاملة معي بعض الهدايا لجارتي وأولادي وزوجي، وفوجئت حين طلبت مني الخادمة ألا أعطي أي شيء من الهدايا لجارتي، شعرت أنها تخفي عني شيئًا، فأعطيتها الأمان ووعدتها أنني لن أفشي سرها ولن أورطها فقالت لي أنها رأت جارتي مع زوجي في موقف غريب، وأن العلاقة بينهما منذ مدة غير قصيرة وأنها تتحدث معه في الهاتف أثناء غيابي.

وعندما سافرت زارتنا في البيت أكثر من مرة بحجة أنها تريد أن تطمئن على الأولاد وطلبت مني الخادمة ألا أورطها حتى لا يطردها زوجي ويقطع رزقها، وفعلًا تصرفت وكأنني لم أسمع شيئًا.. بعد أيام رن جرس الهاتف وكانت هي على الجانب

الآخر رد زوجي في نفس اللحظة التي رفعت فيها السماعة من غرفة أخرى من دون أن يشعر، جاءني صوتها تتوسل إليه أن يذهب إليها وقالت له: وعدتني أنك ستفي بوعدك وتعلن زواجنا.. وسمعت من زوجي ما لم أكن أتوقعه، قال لها: (حتى لو علمت زوجتي لن أتخلى عنك).. صارحت زوجي بما سمعت، لم ينكر، واعترف أنه وقع في حب جارتي وتزوجها.. طلبت منه الطلاق وفعلًا طلقني، عدت إلى بيت أهلي مع أولادي وبعد ستة أشهر أسكنها في بيتي الذي عشت فيه ١٢ عامًا(*).

❁❁❁

(*) موسوعة القصص الواقعية.

obeikandl.com

ما كان العنف في شيء إلا شأنه

(يا رب صلاح النية والذرية) دعاء كنت أردده في شبابي كثيرًا لكن لم أكن لأسعى إليه، أي أنني لم أبذل كثيرًا من الجهد في سبيل صلاح ذريتي، رزقت بأبناء وبنات كبروا وتزوجوا منهم الصالح ومنهم دون ذلك، كل منهم له طبائع جُبل عليها بترسيخها أو محوها.

صالح أحد هؤلاء الأبناء، نشأ بين بنات فهو أصغر من ثلاث وأكبر من اثنتين ولد هزيلًا ضعيفًا فرحت به، رحمته كثيرًا ودللته أكثر، كان يمتطي ظهري، ويصعد على كتفي ويجلس في حضني، يتكئ على فخذي عند الغداء وعند العشاء ألقمه الطعام بفرح وأسر حين أراه نائمًا على فراشي، كانت له رحمة خاصة فهو ليس الكبير وليس الصغير فالكبير في الغالب قريب من والده مستقل بشخصيته لديه ثقة كبيرة واعتداد برأيه وسرعان ما ينحى منحى الكبار، والصغير مدلل عند والدته وعند الجميع، أما صالح فهو لا هذا ولا ذاك لذا زادت جرعة الحنان تلك حتى أضرته.

لم أكن لأسمح لإخوته بضربه أو رد كيده بل على العكس كنت أنهاهم عن ذلك وأحيانًا أضربهم وأجعله يضربهم هو أيضًا. هذا الدلال الزائد من قبلي والنفور من إخوته أحاطه بشيء من التقوقع، بدأ يشعر بأنه غريب بين أسرته ليس مع الكبار ولا مع الصغار، والدته تحبه وترحمه لضعف حاله وأنا أحمل له في قلبي مشاعر خاصة، كل هذا ولد في قلب إخوانه كرهًا له فدخل مرحلة من الانطواء على الذات لا يكلم أحدًا في البيت ولا يكلمه أحد مما جعله بعد ذلك في فترة المراهقة يتمرد على كل شيء ويتعفرت في سن الخامسة عشرة ترك المدرسة عنادًا وصلفًا لا غباء ولا إهمالًا، بل كان من قبل من خيار التلاميذ ونجبائهم.

يخرج من البيت بعد الغداء في (عز الحر الشديد) ولا يعود إلا وقد خرج الناس من صلاة العشاء، رائحة الدخان تصبغ ملابسه، وسواد المعصية يلفح وجهه، أمه

تبكي، وأخوه تعب من البحث عنه وأنا أكاد أجن، كيف لهذا الطفل المدلل أن يفعل كل هذا بي، طفح الكيل وبدأت أتخذ مسارًا آخر في التعامل معه فكأنما انقلبت محبته في قلبي إلى كره فصرت أضربه ضربًا مبرحًا موجعًا كانت آثاره تبقى في جسمه مما يجعل والدته تكمده وتضمده، أضربه حتى يغمي عليه ويلزم الفراش عدة أيام كنت عفا الله عني أضربه بأي شيء يقع في يدي (عصا، خرطوم، سوط، حبل، خشبة) (دورانه في الشوارع في هذه الشموس وهو في هذه السن تجمد الدم في العروق) أعمى الشيطان بصري وطمس على قلبي وشل تفكيري فلم أحاول أبدًا إيجاد حل آخر، ولم أجعل للصلح موضعًا ولم أفكر في الأسباب المؤدية إلى هذا ولا العواقب الناتجة عنه، كنت أظن أن الضرب بهذا الشكل سيعيده للمدرسة، سيرد له عقله ورشده فإذا به ينشأ شرسًا غليظًا في طبعه حاقدًا على كل من حوله، علّمه الضرب الحقد والحسد وحب الانتقام والألم علّمه القسوة والفظاظة، صار يكره الجميع كأنه يرى فيهم ماضيه البائس، ومراهقته الصعبة العنيدة حيث الضرب الموجع والأخاديد السوداء والزرقاء في ساقيه وظهره.

أغلق بابه في وجه الجميع، تهمه نفسه فقط لا يأبه بما يدور حوله، لا يتفاعل مع قضايا إخوانه، ولا يلقي بالًا لمشاكلهم، تؤلمه نجاحات الآخرين ويحقر إبداعاتهم بات إخوته يتضايقون منه، يتجنبون لقاءه والحديث معه لأنه يتسقط زلاتهم وينتقد آراءهم ويزدري عيشهم.

لقد شب جذعًا مائلًا لا يمكن تقويمه إلا بكسره وكسره موته وفناؤه. إخوته يحملونني كامل المسئولية في اعوجاجه، حقًا لقد سلكت مسلكًا خاطئًا في تربيته وتأديبه فلم يكن الضرب علاجًا ناجحًا، بل إن العنف لا يولد إلا العنف فيارب إليك المشتكى اللهم أصلحه وأصلح ما بينه وبين إخوته(*).

«والدك»

(*) مجلة «الدعوة».

قربتها منه فطلقني من أجلها

كانت صديقة عمري منذ المرحلة الابتدائية حتى الجامعية، اتفقنا على أن ندرس معًا ونكبر معًا ونتزوج في وقت واحد، وكنا نحلم أن نتزوج شقيقين. ولكن كل شيء تغير.. كنا في السنة الثالثة في الجامعة في كلية واحدة، وتقدم لخطبتي شاب لا يمكن لفتاة أن ترفضه، ووافقت بعد موافقة أهلي، وأخبرت صديقتي وشجعتني على الموافقة وقالت مازحة: بشرط أن يكون له أخ لي، ولكن اكتشفت أن أخاه متزوج والآخر مازال صغيرًا.

وتمت الخطوبة وعقد القران في يوم واحد وتظاهرت صديقتي بالفرح الكبير وقدمتها لخطيبي على أنها صديقة العمر وهي بمثابة أخت لي، واتفقنا على إتمام الزواج بعد انتهاء دراستي الجامعية أملًا في أن يتقدم لصديقتي صاحب النصيب ونتزوج في آن معًا.. ولم يخطر لي يومًا أن الصداقة والأخوة والمحبة وعشرة العمر من الطفولة وحتى الجامعة ستنتهي في لحظة وستتحول إلى غيرة وخيانة وغدر.. ولا أنكر أنني ومن دون أن أدري ساهمت فيما حصل، كنت أحدث عريسي دائمًا عن صديقتي وأحكي له ذكرياتنا، وكثيرًا ما استأذنته لأدعوها لمرافقتنا إلى غداء أو عشاء، ومن دون قصد قربتها منه وجملتها في عينيه، بدأت بعد فترة أشعر بأن المياه تجري من تحتي وأن علاقة خفية بين عريسي وصديقتي، كثرت أسئلتها عنه، ووضح اهتمامه بها، حاولت أن أبتعد عنها وأبعدها عنه.. صرت أهرب من اتصالاتها، ومضت أشهر كانت لقاءاتنا فيها محدودة جدًا بحجة أنني أستعد للامتحانات وللزواج.

لكنني اكتشفت أنني ساذجة، فقد استطاعت صديقتي أن تكسب قلب عريسي وأن تستدرجه عبر الهاتف، واكتشفت أنها تحكي له عن ذكريات طفولتنا، وعن

مراهقتنا، وكان هو يحدثني عن نفسي بأشياء لم أكن قد أخبرته بها، ولكنه يؤكد لي أنني كثيرة النسيان وأنني أنا التي قصصت عليه هذه القصص.. أنهيت دراستي الجامعية وتخلفت صديقتي عني بحجة أن والدتها مريضة، والظروف لم تسمح لها بالدراسة الجدية والنجاح.. طلبت من عريسي أن يحدد موعدًا للزواج بناءً على اتفاقنا.. كان يتهرب ويماطل، وجاء من يخبرني أن عريسي وصديقتي يعيشان قصة حب وأنه سيتزوجها.. كذبت الخبر، ولكن الصدمة كانت قاسية حين صارحني بحبه الكبير لصديقتي، وخيرني بين أمرين أحلاهما مر.. قال: هل تريدين الطلاق أم توافقين على أن تكون صديقتك المقربة زوجتي الثانية؟.. كانت أقصى صفعة تلقيتها في حياتي.. رفضت طبعًا وأصبحت مطلقة من دون أن أتزوج.. وتزوج هو من صديقة عمري(*).

❀❀❀

(*) موسوعة القصص الواقعية.

obeikandl.com

حنانك وحدك لا يكفي!!!

حين انتهى العام الدراسي أسرع (معاذ) إلى غرفته يرتب أغراضه ويجمع كتبه، لم يكن لديه وقت لينتظر النتيجة ويأخذ (نجاحه) فهو في انتظار أمر أهم من هذا كله ملأ عليه قلبه وفكره.. إنه في لهف لرؤية أمه يريد أن يكحل عينيه برؤيتها ويرتمي في حضنها يستريح بعد عناء الاختبارات. وحين سمع صوت المفاتيح تلتحم بالباب أسرع وكله شوق ليطلب من والده أن يفي بوعده ويأخذه إلى أمه فلقد أدى معاذ الاختبارات بامتياز لكن صعق بجواب والده (بعدين، انتظر حتى تطلع النتيجة، أنا وعدتك أخذك لأمك إذا كان مستواك ممتاز).

جاءني (معاذ) وهو يغص بعَبرة كبيرة وعيناه ملأى بالدموع، مسكين يا ولدي إنك تولد لأب طلق أمك وأنت ما تزال جنينًا في رحمها وودعتها وأنت لم تتجاوز الرابعة من عمرك، أعلم أنك تتعذب كثيرًا لفراقها ولكن هذا قدر الله فسبحان الله والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

أنا أيضًا أتألم لألمك، ويرتفع الضغط عندي ويزيد السكر وحين يراني أبوك مريضة يقول «ماذا فيك أرجو ألا تكون زوجتي أغضبتك في شيء».

زوجتك ما أغضبتني.. أنا غاضب منك، كيف يطاوعك قلبك تحرم ابنك من أمه، ما ذنب هذا الصغير، أنت تعذبه أكثر مما تعذبها، لا تجعل كرهك لها يعمي عيونك عن حاجة ولدك مهما كبر لحبها وحنانها، الأم لا يسد محلها أحد.

معاذ ولدك البكر، متفوق في دراسته، ذكي، يحبك ويحترمك ودائمًا يسعى لرضاك فلماذا لا ترضيه أنت أيضًا بزيارة بين الحين والآخر لأمه، يستمتع بدفئها ويقبل يديها وينام في حضنها وتحكي له الحكايات الجميلة.

إنه ينتظر المناسبات التي صار لا يذهب إليها إلا فيها، العيد والإجازات يقول لي: أحب العيد من أجل رؤية أمي فقط.. رمضان لا أحبه.. نذهب لمكة ولا أرى أمي. لكن في رمضان نذهب لمكة يا حبيبي.

لكن أمي أحسن من مكة، مكة أراها في التلفزيون دائمًا وأمي لا أستطيع رؤيتها إلا قليلًا... مسكين ذلك الصغير.

(معاذ) كبر الآن ويفهم ماذا تعني أمه، هل تظن يا ولدي أن الأيام ستمحو أثرها من قلبه، طبعًا لا تدري لأنك ما جربت فقد الأم، عشت في حضني طوال عمرك مدللًا مكرمًا. شوف زياد يوم رديته مكسوف البال جلس في ركن البيت يتذكرها ويتحرى ساعة لقائها.. دموعه الصغيرة تزلزل الجبال الصلبة وتدك القلوب القاسية. هو يداري دمعاته عنك لا يحب أن تراها فيتكدر خاطرك، قلبه الصغير الغض يتحمل كل هذا الألم من أجل ألا يحدث ما هو أشد منه.

قلبك القاسي كيف يتحمل هذا البكاء المدفون في الأعماق، قل لي بالله: ماذا جنت يداه؟ هل ذنبه أن أمه تزوجت وتركته.. هي أيضًا محرومة وتبحث عن عفافها وسترها. هذه سنة الله، أم هل معاذ كان سببًا فيما حدث بينكما.. إنه كان في الظلمات لم يتخلق بعد، لثمانية أشهر بعد طلاقها وضعته.

لا ياولدي.. لا تترك الماضي حاجزًا بين قلبين، قلب كبير يحتوي القلب الصغير ويضخ فيه دماء الحب الفطري الذي هو في أشد الحاجة له، إنه حب يسري في شرايينه وعروقه فيمده بالقوة التي تدفعه للتشبث بالحياة والنظر إليها بمنظار آخر، حب يدفعه للنجاح - بإذن الله - لأنه يشعر بأنه مثل الآخرين... اسألني يا ولدي عن الأم... كنت في طفولتي لا أذكر من أمي إلا خيال امرأة ممددة في زاوية من زوايا البيت.. مريضة لم تقبلني يومًا ولم أسمع منها كلمة، كل الذي أذكره منها عيناها التي ترقباني بألم.. ماتت

أمي واجتمع النساء في بيتنا يبكين ويقبلنني، لا أعرف شيئًا أمي اختفت يقولون أخذها الموت، وفي يوم العيد أخذت ثياب العيد التي كانت الثياب الوحيدة التي نعرفها طول العام ونرتديها حتى يأتي العيد القادم.. أخذتها إلى عمتي وقلت: «سأعطي الموت ملابسي الجديدة وخليه يعطيني أمي!! نعم إن ملابسي كانت أغلى ما أملك ولكنها لم تكن أغلى من أمي» هذا في زمن مضى. فما بالك بولد ذكي مثل معاذ يدرك أن أمه موجودة وقريبة منه في مكان من هذه المدينة وفي بيت من بيوتها، ومع ذلك يُحرم من رؤيتها ويعاقب بفقدها. هل نسيت ماذا كان يقول وهو صغير: «أمي أحلى من الشيكولاته والآيس كريم» هل ترى أن هذا الحب يتلاشى!! لا والله إنه يزداد رسوخًا وقوة.

إن حنانك وحده لا يكفي وحسن المعاملة من زوجتك أيضًا لا يكفي، والنائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة فارِ ظمأه لأمه واجعل له زيارة شهرية حتى يشب ولدًا مستقيمًا واجتماعيًا ومنتجًا. والحمد لله وحده أولًا وأخيرًا(*).

«والدتك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

نساء يكتشفن خيانة أزواجهن

يعشن واقعًا أشد ألمًا من وقع الحسام... نساء يكتشفن خيانة أزواجهن بين ألم الفاجعة وخوف الفضيحة.. يتبدى تساؤل حارق.. هل تستمر العلاقة رغم حدوث الخيانة بين الزوجين؟ وكيف ستكون؟ ولماذا يلجأ الزوج للخيانة. وهو يعيش قصة حب قوية مع زوجته أو إحدى زوجاته؟ وهل يفرق بعض الرجال بين الحب أو الزواج وبين المتعة الجنسية؟ ومتى تسامح المرأة؟ وهل يثبت الرجل توبته النصوح؟ باختصار هذا ما حاولنا الإجابة عليه خلال هذا التحقيق الذي يكشف عن واقع أشد ألمًا على نفوس أهله من وقع الحسام المهند فإلى الأسرار.

(فتون) من الكويت تروي قصة خيانة زوجها لها بألم فتقول: تزوجني زوجي لأكون امرأته الثانية الجميلة المتعلمة التي تليق بشخصه ومركزه ولو قيل لي يومًا أنه سيخونني لما صدقت إطلاقًا مهما كان المصدر. ولكن الذي أخبرني بفعل خيانته هو من لا أملك تكذيبه رغم أن العقل يشارك العينين نصف الحقيقة، ولكن تظل الحقيقة مؤلمة حتى لوجاءت ناقصة. والمعنى أنني سمعت ذات ليلة صوت جلبة في مطبخ منزلي، فإذا بي أنطلق إلى المطبخ مسرعة وما أن وضعت يدي على مفتاح النور حتى وجدت زوجي يضع يده على فم الخادمة، وقد مزَّق ملابسها في حالة سكر ولم أصدق ما رأيت، بل سقطت مغشيًا عليّ، وأصبت لمدة طويلة بعمى في عيني، تبين فيما بعد أنه عمى نفسي أو هستيري. والآن لا أعلم أي دواء بعد الله سيعيد لي اتزاني وراحة بالي، سيما أن لدي طفلتين من زوجي، وأمي لا تحب ضجيج الأطفال، وكل ما ادخرته من مال وظيفتي كنت أضعه في تزيين منزل زوجي الخائن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعن مأساة قد يعجز القلم عن وصفها تذكر أم عمر حادثة أخرى من حوادث الخيانة قائلة: في إحدى الإجازات القريبة كان زوجي في زيارة لأحد البلاد لإحضار عمالة لبعض خدماته المتعلقة بالمؤسسة التي يمتلكها. وأثناء خروجه من الفندق الذي يسكن به هناك رأى زوجي رجلًا يقول أنه يعرف شكله، فهو أحد رجالات الحي الذي نسكن فيه وعندما تبين الأمر وجده مع امرأة قبيحة رغم ما يبدو على وجهها من أطنان الماكياج. وجسم كالبالون، وملابس بألوان مبهرجة فاقعة وقد خرجت معه من نفس شقته، المهم بعد عودة زوجي من السفر حكى لي ما شاهده، فإذا بي أتفاجأ بحقيقة زوج إحدى جاراتي المقربات والذي خدعها بقوله: أنه مسافر لبلد آخر في عمل رسمي، وهي في فترة النفاس، فأي هدية هذه التي يحملها لامرأة بعد ولادتها؟! يا للعجب!!.

جواهر ع. من قطر تقول: في إحدى زياراتي العلمية لمدينة لندن أعجب بي وبتفوقي، شاب من نفس البلد الذي أنتمي إليه، وما هي إلا مدة يسيرة حتى تقدم إليّ، رغم الفروقات الشكلية والقبلية فيما بيننا، وعشنا معًا سنوات جميلة وعذبة، سافرت خلالها للعمل بأحد البلاد الخليجية المجاورة وكنت أعود إليه على جناح الشوق نهاية كل أسبوع،وذات يوم رأيت ما لم يكن في الحسبان أبدًا، رأيت بعض الحمرة على طرف غترته، وفي منديل جيبه، في البداية أخذت الأمر كمزحة، ولكن سرعان ما أبدى ارتباكه وتلعثمه، وعندما أخذت الأمر مأخذ الجد تبين لي أنه كان مع إحدى قريباته التي تغار مني، وتدعي أنها أجمل وأبيض مني، ولم أجد نفسي في لحظتها إلا وأنا أصفعه على وجهه بحرارة، وبراكين الأرض تغلي في صدري، وعدت بعدها إلى حيث مقر عملي ليلحق بي، ويعلن توبته الصادقة وندمه الشديد.

ويؤكد أن الأمر مكيدة من قبلها وأنه لم يحدث شيء بينهما، سوى ما ظهر، وبصراحة من بعدها وأنا أصبحت أعيش في حالة من الصمت الرهيب، والنسيان

الشديد، وأحاول جاهدة أن أسامح. ولكن كلما حاولت جادة، أعلن النسيان فشله على شاشة الذاكرة.

نورة عبدالله تقول: لم أكن أعلم أن الطعنة ستصيبني من عقر داري، وأنا من تسبب في ذلك دون علم بل لزيادة ثقتي بزوجي، عندما أحضرت خادمة فلبينية إلى المنزل. لم أكن أظن أن من أردتها لراحتي وخدمتي هي من شاركت في تدميري مع زوج عاقل كما كان يبدو.

ذات يوم لا أنساه ولم أستطع نسيانه حتى اليوم صعدت إلى غرفة الخادمة حوالي الساعة الواحدة والنصف ليلًا. فور عودتي من بيت أهلي، وقد تأخر زوجي في إحضاري، بل أغلق جهاز الهاتف النقال ولم يرد على مكالماتي.. لإحضار المكواة الكهربائية وغرفتها في العليّة فإذا شبح الخيانة يمتثل أمامي. لأنسحب في صمت دون أن يشعرا بي. وتصرفت بهدوء ظاهر وأنا أبتلع موس الجرح حتى فاض بي جرحي وطغى ألمه وواجهت زوجي بعدها بأيام قليلة بمعرفتي بما حدث ونسبت ذلك إلى الخادمة مدَّعية أنها هي من أخبرني. وما كان من زوجي إلاأن أنكر وثار كالثور الهائج، وراح في حالة أقرب إلى الجنون خوفًا من الفضيحة يضرب الخادمة، وهي تصرخ تحته قائلة: «أنا ما في يعلم، أنا ما في يقول شيء»!! وأنا أنظر إليهما باستهتار بالغ.

نورة م ش تقول بألم: رأيت ذات يوم وأنا أنظف ملابس زوجي صورة لامرأة هندية في أحد جيوبه، فتفاجأت بذلك، وما لبثت أن واجهت زوجي بالأمر، وتفاجأت أكثر ببرود زوجي، أو محاولة في إظهار الأمر بالشكل الطبيعي،وإذا به يخبرني أنها صورة زوجة أحد العمال الذين يريدون إحضار عائلاتهم إلى البلد، ومرت الأيام وسافر زوجي مرة أخرى وإذا بي أجد بعد عودته عددًا من الصور لنساء هنديات وكانت إحداهن تمسك بيد زوجي في إحدى الصور وتبينت الأمر فإذا هي نفس صاحبة

الصورة الأولى، فواجهت زوجي بصورة عنيفة، وهددته بترك المنزل. وظننت في البداية أنه قد تزوج علي بأخرى، فإذا به يحلف ويؤكد أنها علاقة غير رسمية، أو شرعية. فما كان مني إلا أن سقطت مغشيًا عليّ وقد تزلزلت الأرض من تحت قدمي، فلو كان الأمر زواجًا أو أمرًا حلالًا لكان أهون على كل حال، وطلبت منه الطلاق في الحال، ولم يوافق فحملت رضيعتي وذهبت لبيت أهلي، وعندما علم أولادي التسعة بخروج أمهم بنية اللاعودة، اتصلوا جميعهم في قلق وانشغال واستجداء للرجوع والآن أعيش في وضع لا يعلم به إلا الله هل أعود لأجل أولادي أم أثأر لديني وكرامتي؟!(*).

❁❁❁

(*) موقع القصص الواقعية.

obeikandl.com

الأرملة

لازلت أذكر ذلك اليوم جيدًا.. وكيف يُمحى من ذاكرتي وهو يوم التحول الكبير الذي طرأ على حياتي.. إنه يوم وفاة زوجي – رحمه الله – بالسكتة القلبية.. أذكره بكل تفاصيله ودقائقه وثوانيه... الناس في هرج يدخلون ويخرجون بسرعة... وأمي تبكي وهي تمسح شعري وتنفث على صدري وأنا في صدمة كأنني في رحلة خارج هذا العالم.. مرت أيام العزاء دون أن أستوعب ما حدث، كنت فقط أقبّل أبنائي وأحضنهم وأقول لهم ادعوا لأبيكم.

وبالرغم من أن وفاة زوجي أحدثت شرخًا كبيرًا في حياتي إلا أن ما خلفه موته كان أشد علي من الموت ذاته، بل حتى من وقع الصدمة. لم أعد أنا وأبنائي كذلك، صرنا غرباء عن الناس بعيدين عنهم، صارت حياتنا موحشة مقفرة، لم يطرق بابنا طارق منذ أن انتهى زمن الحزن!!! وهل زمن الحزن ينتهي؟! إنه باق في صدورنا موغل في أرواحنا.

أعمامنا أهل زوجي لم يعودوا يعرفوننا، لا يسألون عنا، تمر الشهور تلو الشهور لا أرى منهم أحدًا ولا أسمع هاتفًا من أحد. لم يعد أحد منهم يدعونا لولائمه ولا أعراسه وأفراحه، الألم يضغط على هذه المهجة التي بين جنبي ماذا أقول لأبنائي أنا التي تركت بيت أهلي وبقيت في بيت زوجي الذي بناه لنا بالقرب من إخوانه.. كان يحبهم ولا يريد البعد عنهم، كان دائمًا يتمنى ألا نفترق.. يحثني على زرع محبة أعمامهم في قلوبهم.

ماذا أقول لهم وهم يرون هؤلاء الأعمام لا يأخذونهم لزياراتهم ولا يسألون عنهم إنهم لا يتفقدون حاجتهم.. عمهم القريب منا جدًا لم يأخذهم مرة واحدة للملاهي ولا حتى هو في طريقه ليشتري خبزًا وفولًا على الأقل يذكرهم بطيف والدهم الذي لن ينسوه أبدًا حين كانوا يتعلقون به كلما هم بالخروج.

obeikandl.com

في العيد الماضي أخذت أبنائي وذهبت بهم للسلام على أهلهم، دخلنا هذا البيت الذي طالما دخلناه في حياة زوجي رَحِمَهُ اللَّهُ.. صرنا كأننا غرباء.

احتفوا بنا كأي ضيف يفد إليك يوم العيد، جلست في صالة البيت وشعرت كأن الجدران والسقوف ترمقني بنظرة حنان.. ربما أنها تحن إليَّ.. أو تبحث عن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ.. إنها أكثر وفاء من البشر.

أبنائي لم يبتعدوا عني كثيرًا نفس الشعور الذي داخلني داخلهم.. عمة العيال قبلت ابني الصغير فنفر منها وحق له.. إذ لم يرها منذ فترة طويلة في الماضي.. كنا نجتمع كثيرًا.. كان هو الذي يسعى لاجتماعنا وينظم له أما الآن فمع تقادم العهد وطول البعد أصبحنا في عداد المنسيين، تلك الأحاسيس المرهفة والمشاعر الفياضة وعبارات التصبير والمعاونة التي أمطرونا بها في زمن الحزن نضبت وشحت حتى عن دعوتنا يوم العيد، لنشاركهم الفرحة. لماذا كلما مرت الأيام أبقت لنا الجفاء والبعد وسحبت في أذيالها ما ارتسم على شفاهنا من أهلة الفرح؟!.

لماذا أنا التي أحاول التقرب إليهم؟! لأنني أريد أن يبقى لأبنائي حبال ود مع أهلهم وخيوط وصال تربطهم بأصلهم إنه أبناء آل «...» وليسوا أبناء أهلي. أنا لست في حاجة لأحد فالمال والعقار الذي أبقاه لي زوجي يكفينا عن حاجة الناس وسؤالهم، والسائق كفاني هم المواصلات ومشاوير المدرسة فلست في حاجة لأحد ولا أستجدي أحدًا لكنني أحب فقط أن يشعر أبنائي بأنفاس والدهم تعطر البيت حين يأتي أحد أعمامهم يسأل عنهم ويتفقد حاجتهم ويحادثهم، إنني أبحث عن الحب الذي فقدوه.. عن الحضن الدافئ الذي يضمهم، والقلب الرحيم الذي يسع همومهم الصغيرة.. أريدهم لهم أهلًا وعشيرة.. ترى هل ذاب الوصل وانقطعت حبال الرحم؟.

ألا تكفي قسوة الفقد تلهب قلوبنا؟... وسياط الوحدة تلسع أفئدتنا؟ فلماذا لا تزورونني، وتدعونني لولائمكم.. إنني على ثقة تامة من أنني لو سعيت للزواج مرة ثانية فسوف تهبون هبة مضرية لتنتزعوا أبناءكم من حضني وتحرموني من رؤيتهم فلماذا لا تقدرون تضحيتي لأجلهم وبقائي شمعة تذوب لتضيء دروبهم وتمنحهم الدفء وهي تحترق.. أرجو أن نعود أسرة واحدة(*).

«زوجة أخيكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com